التعايش السلمي مع المختلف عَقَدِياً
"دراسة تحليلية في ضوء الأصول الإسلامية"

إعداد

د/ مرفت عبدالجبار عبدالودود سعد

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية

الكلية الجامعية بالقنفذة (فرع جامعة أم القرى)

المملكة العربية السعودية

البريد الالكتروني: maasaad@uqu.edu.sa

التعايش السلمي مع المختلف عَقَدِيًا

"دراسة تحليلية في ضوء الأصول الإسلامية"

مرفت عبدالجبار عبدالودود سعد
قسم الدراسات الإسلامية، الكلية الجامعية بالقنفذة (فرع جامعة أم القرى)، المملكة العربية السعودية.
البريد الالكتروني: maasaad@uqu.edu.sa

الملخص:
هدفت الدراسة تناول التعايش السلمي مع المختلف عقدياً دراسة تحليلية في ضوء الأصول الإسلامية، ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام المنهج الاستنباطي، وتكونت الدراسة من مقدمة وأربعة مباحث وعدة مطالب، وكان من أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ما يلي: ترى النظرة الإسلامية للعالم: أن الأصل هو تنوع الإنسانية في الألسنة واللغات، ومن ثم في القوميات، وكذلك في الأجناس والألوان، ينبغي لنجاح متطلب التعايش مع الآخر ضرورة التفاعل الثقافي بين الحضارات، فأي حضارة إنسانية لا يمكنها مواصلة تقدمها إلا إذا تعايشت مع غيرها، فالحضارة هي التي تربي أبناءها على ثقافة التماسك وقبول الآخر، والمجادلة بالحسنى ووسائل الإقناع، فلا حضارة مع التعصب للرأي ورفض التعايش مع الآخر، يعد التعايش السلمي أحد أهم الفضائل الإنسانية التي ترتقي بالنفس البشرية إلى مرتبة سامية تتحلى بالعفو واحترام الآخر، تجدر الإشارة إلى أن التعايش السلمي ينطلق منها لغاية كبرى وأهداف سامية يسعى إليها، ومنها على سبيل المثال: وحدانية الحق وأنه ثابت ومطلق، كسب المخالف ودعوته بالكلمة الطيبة والمعاملة بالحسنى، وسطية هذه الأمة، إحياء روح الحوار، وإقامة الحجة وإبلاغ دين الله، التعايش بين الأديان السماوية من خلال إرساء الثقة والاحترام المتبادل، وردت العديد من المعاني التي تحمل في طياتها معاني التعايش السلمي مثل: السماحة في المعاملات بين الناس، الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، الحلم وكظم الغيظ وسعة الصدر، العفو والصفح، تتنوع متطلبات التعايش السلمي مع الآخر في الإسلام، ومن أبرزها ما يلي: الاعتراف بالآخر واحترامه، جواز الحوار مع الآخر المختلف عقدياً، عدم الإكراه في الدين، تأكيد الحق في الحرية الاجتماعية، تفعيل حوار التقارب والتعايش.

الكلمات المفتاحية: التعايش السلمي، التسامح، قبول الآخر، السلام، أهداف التعايش.

Peaceful Coexistence with Religious Diversity: An Analytical Study in Light of Islamic Principles

Mervat Abduljabbar Abdulwadood Saad
Department of Islamic Studies, Al-Qunfudhah University College (Umm Al-Qura University Branch), KSA.
E-mail: maasaad@uqu.edu.sa

ABSTRACT:

The study aimed to examine the concept of peaceful coexistence with religious diversity through an analytical study in light of Islamic principles. The deductive method was employed to achieve this objective. The study consisted of an introduction, four chapters, and several demands, Among the most prominent findings of the study were the following: The Islamic world view believes that the origin is the diversity of humanity in tongues and languages, and then in nationalities, as well as in races and colors. For the success of the requirement of coexistence with others, cultural interaction between civilizations must be necessary. Humanity cannot continue its progress unless it coexists with others. Civilization is the one that raises its children in a culture of cohesion, acceptance of others, and good arguments and means of persuasion. There is no civilization with intolerance of opinion and refusal to coexist with others. Peaceful coexistence is one of the most important human virtues that elevates the human soul to a sublime level characterized by forgiveness and respect for others. It

should be noted that peaceful coexistence stems from it with a major goal and lofty goals that it seeks, including, for example: the oneness of truth and that it is constant and absolute, winning over the violator and inviting him with a kind word. Treating people with kindness, the moderation of this nation, reviving the spirit of dialogue, establishing the argument and conveying the religion of God, coexistence between heavenly religions by establishing trust and mutual respect, and many meanings were mentioned that carry within them the meanings of peaceful coexistence, such as: tolerance in transactions between people, Calling for wisdom and good preaching, forbearance, suppressing anger, and patience, forgiveness and pardon. The requirements for peaceful coexistence with others in Islam are varied, the most prominent of which are the following: recognition and respect for the other, the permissibility of dialogue with others who are ideologically different, no coercion in religion, affirming the right to social freedom, Activating the dialogue of rapprochement and coexistence.

Keywords: Peaceful Coexistence, Tolerance, Acceptance of the Other, Peace, Coexistence Goals.

المقدمة:

يتميز البناء الاجتماعي للمجتمع العربي بتعدد الجماعات والفئات والشرائح المتعددة بتعدد الخلفيات والأصول الاجتماعية والثقافية والدينية وغيرها لجميع السكان في المجتمع، وهذه التقسيمة الاجتماعية للبناء الاجتماعي تشابه البناءات في معظم مجتمعات ودول العالم المتقدمة وغيرها، وهذا بالتالي يسهم في وجود ثقافات فرعية لتلك الفئات بالإضافة للثقافة العامة في المجتمع والدولة التي أصبحوا ينتمون لها، حيث يمتزج السكان الأصليون مع جماعات من أصول أخرى متعددة، وبالتالي فمثلما يساهم السكان الأصليون في ترسيخ دعائم بناء المجتمع يساهم كذلك السكان من أقليات مختلفة، حيث أصبحوا جزءا لا يتجزأ من دعائم البناء الاجتماعي الثقافي السياسي والاقتصادي للمجتمع العربي، كما أنهم يواجهون بعض التحديات نتيجة لغربتهم عن موطنهم الأصلي.

وغني عن البيان أنه من النادر وجود دولة حديثة متجانسة عرقياً أو دينياً أو حتى لغوياً، فمعظم دول العالم تعاني من درجة أو أخرى من التعدد الثقافي المجتمعي، وكما تختلف الدول في درجة التنوع الثقافي، فإنها تختلف أيضاً في طريقة تعاملها مع هذه التعددية، فهناك من يتبع استراتيجيات تقوم على دمج واحتواء هذه التعددية من خلال الاعتراف بهذه التعددية، وهناك من يقوم باتباع سياسات تقوم على قمع هذه التعددية ولا يعترف بها[١].

ومع سنة وقانون التعددية في الشعوب والأمم ترى النظرة الإسلامية للعالم: أن الأصل هو تنوع الإنسانية في الألسنة واللغات، ومن ثم في القوميات، وكذلك في الأجناس والألوان، قال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) [٢]، ومع التعدد والتنوع في الشعوب والأمم وفي اللغات والقوميات وفي الأجناس والألوان، هناك سنة وقانون التنوع والتمايز في الشرائع والملل الدينية وفي المناهج والثقافات والحضارات (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [٣]، (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) [٤]، وفي

---

(١) فخري، إيمان. (٢٠١٤). الديمقراطية التوافقية كإطار لاستيعاب الأقليات، الأهرام الديمقراطية، (٥٤)، ص١٦٠.

(٢) الروم:٢٢.

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) هود: ١١٨.

هذه النظرة الإسلامية للوجود بعوالمه المختلفة القائمة على التنوع والتعدد تربية للشخصية المسلمة على التعايش مع الآخر في ذلك العصر الذي يموج بالصراعات والاضطرابات[١].

لذلك ينبغي لنجاح متطلب التعايش مع الآخر ضرورة التفاعل الثقافي بين الحضارات، فأي حضارة إنسانية لا يمكنها مواصلة تقدمها إلا إذا تعايشت مع غيرها، فالحضارة هي التي تربي أبناءها على ثقافة التماسك وقبول الآخر، والمجادلة بالحسنى ووسائل الإقناع، فلا حضارة مع التعصب للرأي ورفض التعايش مع الآخر[٢].

ويعد التعايش السلمي من القيم الرفيعة التي تقوي الروابط بين الناس، وتشيع فيهم الألفة والمحبة، ويربي الإسلام أبناءه على التعايش السلمي بالدعوة إلى ممارسة القيم الخلقية جميعها والتي منها العفو والتسامح، قال تعالى"..... وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"[٣]، وقال أيضاً "... فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ"[٤]، وقد يتوهم البعض أن تقبل الآخر يأتي عن ضعف واستكانة، وهذا توهم خاطئ، فتقبل الآخر ينبع من القوة والمقدرة؛ لأن العفو يكون عند المقدرة، كما قال الله تعالى "وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ"[٥]، ويؤكد ذلك أنه ما من عقوبة تذكر في القرآن الكريم وتتعلق بحقوق العباد إلا ويرافقها مطلب رباني بالصلح والتسامح لكي تزداد الألفة بين الأفراد ويعم السلام في المجتمع[٦].

---

(١) عمارة، محمد. (٢٠٠١). الإسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟، القاهرة، مكتبة الشروق، ص١٧.

(٢) الخمليش، أحمد. (٢٠٠٢). مستقبل العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، " حقيقة الإسلام في عالم متغير، المؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، في الفترة من ٨ – ١١ ربيع الأول ١٤٢٣هـ، ٢٠ –٢٣ مايو ٢٠٠٢، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص٩٤٣.

(٣) التغابن: ١٤.

(٤) الحجر: ٨٥.

(٥) الشورى: ٤٠.

(٦) صبري، عكرمة سعيد. (٢٠٠٣). النظرة الإسلامية إلى الآخر، " حقيقة الإسلام في عالم متغير ". المؤتمر الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، في الفترة من ٨ – ١١ ربيع الأول ١٤٢٣هـ، ٢٠-٢٣ مايو ٢٠٠٢، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص٦٠.

كما يعد التعايش السلمي أحد أهم الفضائل الإنسانية التي ترتقي بالنفس البشرية إلى مرتبة سامية تتحلى بالعفو واحترام الآخر، وهو ضرورة اجتماعية لما له من أهمية بالغة في حماية النسيج الاجتماعي، لضمان تحقيق السلم الأهلي، والأمن المجتمعي، والقضاء على الخلافات والصراعات بين الأفراد

وكما راعى الإسلام التعايش السلمي والسماحة والمساواة بين المسلمين وغيرهم في القضاء، فإنه راعى السماحة في معاملة المسلمين لغيرهم:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[٢].

وإذا كان التعايش السلمي وحسن المعاملة وعدم التعصب أموراً مطلوبة من المسلمين في معاملتهم مع غير المسلمين، فإنها كذلك مطلوبة من غير المسلمين مع المسلمين، حتى تتم معاملة كل طرف للآخر في دائرة التعاون والتضامن، فلا يسيء أحدهم إلى الآخر، بل يتعاملون بروح الفريق الواحد في الوطن الواحد.

ومما يؤكد على أن القرآن الكريم والشرع الإسلامي يريد أن تسرى هذه الروح الطيبة لا بين المسلمين فقط، بل بينهم وبين العالم أجمع، على اختلاف الأشكال والألوان واللغات والديانات قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [٣]، وقوله سبحانه: (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [٤]، وقولـه عز وجل: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [٥]، وقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

---

(١) النجار، يحي محمود وأبو غالي، عطاف محمود. (٢٠١٧). دور التعليم العالي في تعزيز قيم التسامح من وجهة نظر الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية جامعة الأقصى أنموذجاً، مجلة جامعة الأقصى – العلوم الإنسانية- المجلد (٢١) العدد (١) يناير ص ٤٢٣.

(٢) الممتحنة: ٨.

(٣) الحُجُرات: ١٣.

(٤) العنكبوت: ٤٦.

(٥) آل عمران: ٦٤.

الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [١]، وقوله عز وجل: (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [٢].

قضية الدراسة:

جاء الإسلام بالحب والتسامح، والصفح، وحسن التعايش مع البشر كافة، ووطد في نفوس أبنائه عدداً من المفاهيم والأسس من أجل ترسيخ هذا الخلق العظيم؛ ليكون معها وحدة متينة من الأخلاق الراقية التي تسهم في وحدة الأمة، ورفعتها والعيش بأمن وسلام ومحبة وتآلف. ومن تلك المفاهيم: العفو، والتسامح، والصفح عن المسيء، وعدم الظلم، والصبر على الأذى، واحتساب الأجر من الله تعالى؛ حيث جاءت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية لتأكيد هذه المفاهيم، وإقامة أركان المجتمع المسلم السليم على الفضائل، وحسن الخلق ومنها: قوله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)[٣]. وقال تعالى أيضاً: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)[٤]. وكذلك قال تعالى:(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[٥]، وقال تعالى:(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[٦]، وقوله تعالى:(وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)[٧]. فإن ذلك كله من شأنه ترسيخ دعائم الأمن والأمان في المجتمع.

ومن هنا تتمثل قضية الدراسة في الحاجة لتناول موضوع التعايش السلمي مع المختلف عقدياً بصورة تحليلية في ضوء الأصول الإسلامية.

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) الممتحنة: ٨-٩.

(٣) الأعراف:١٩٩.

(٤) الحجر: ٨٥.

(٥) النور: ٢٢.

(٦) آل عمران: ١٣٤.

(٧) الشورى: ٤٣.

أسئلة الدراسة:

سعت الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما المقصود بالتعايش السلمي وأبزر أهدافه في الإسلام؟

٢. ما أبرز ملامح التعايش السلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؟

٣. ما أسس التعايش السلمي وركائزه وموجهاته في الإسلام؟

٤. ما متطلبات التعايش السلمي مع الآخر في الإسلام؟

أهداف الدراسة: هدفت الدراسة تحقيق ما يلي:

١. بيان المقصود بالتعايش السلمي وأبزر أهدافه في الإسلام.

٢. تحديد أبرز ملامح التعايش السلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٣. الكشف عن أسس التعايش السلمي وركائزه وموجهاته في الإسلام.

٤. تحديد متطلبات التعايش السلمي مع الآخر في الإسلام.

أهمية الدراسة ومبرراتها:

١.تأتي هذه الدراسة متزامنة مع تأكيد المجتمع الدولي على أهمية الحوار الحضاري والتعايش السلمي بين أبناء الحضارات على اختلافها وتنوعها وتعدد ثقافتها.

٢.تعدد التحديات والمتغيرات المجتمعية والعالمية التي تتطلب الالتزام بالسلمي وقبول الآخر وفق الضوابط التي أقرتها العقيدة الإسلامية.

٣.ضرورة العمل على نشر ثقافة تقبل الآخر والتعامل معه فيما لا يتنافى مع الشريعة الإسلامية والمعتقدات المجتمعية وما يتطلب ذلك من حوار إيجابي فعال.

٤.ما يشهده الواقع من تعددية في مختلف المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية والدينية وغيرها مما يتطلب تفعيل التعايش السلمي بين هذه التعددية والبعد عن العنف والتعصب وصولاً للحقيقة وتحقيقاً لتبادل الخبرات والمعارف.

٥.الفهم الخاطئ لدى البعض حول موقف الإسلام من الآخر مما يتطلب العمل على توجيه الصورة الصحيحة في ذلك.

منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة المدخل الاستنباطي وهو: بذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة[١].

الدراسات السابقة:

١. دراسة النجار وأبو غالي(٢٠١٧) [٢]: التي استهدفت التعرف على دور جامعة الأقصى في تعزيز قيمة التسامح لدى طلبتها من وجهة نظر الطلبة وأعضاء هيئة التدريس في كلية التربية، واستخدمت المنهج الوصفي، وأظهرت أن الدرجة الكلية لدور جامعة الأقصى في تعزيز قيم التسامح من وجهة نظر الطلاب جاءت بمتوسط (٣.٢٢) بنسبة (٦٤.٥%) وأعضاء هيئة التدريس بمتوسط (٣.١٨) بنسبة بلغت (٦٣.٦).

٢. دراسة مرزوق (٢٠١٦) [٣]: هدفت إلى تعرف واقع ثقافة تقبل الآخر لدى الطالب بكليات التربية، وواقع دور الجامعة في تعزيز تلك الثقافة، مع تقديم تصور مقترح. وتم الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي، وتم بناء استبانة كأداة للدراسة، واختيرت عينة عشوائية بلغ قوامها (٥٠٠) من طلبة جامعة القاهرة بكليتي رياض الأطفال والتربية النوعية وكلية الدراسات العليا بمرحلة الدبلوم العام. وجاءت النتائج بعدم وجود فروق دالة إحصائيا في استجابة أفراد العينة تعزى لمتغير النوع، والمشاركة في الأنشطة ووجدت فروق دالة إحصائيا تعزى لمتغيري الكلية والمستوى الدراسي، وقدم الباحث تصورا مقترحا لتعزيز ثقافة قبول الآخر لدى الطلبة ودليلا إرشادياً لاستدماج ثقافة التعامل مع الآخر بالمقررات الدراسية للطالب/المعلم بمؤسسات إعداده.

---

(١) فودة، حلمي وصالح، عبد الرحمن.(١٩٩١). المرشد في كتابة الأبحاث، ط٦، جدة: دار الشروق، ص٤٣.

(٢) ، يحي محمود وأبو غالي، عطاف محمود. (٢٠١٧). دور التعليم العالي في تعزيز قيم التسامح من وجهة نظر الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية جامعة الأقصى أنموذجًا، مرجع سابق.

(٣) مرزوق، فاروق جعفر.(٢٠١٦). "استدماج ثقافة قبول الآخر في برامج إعداد الطالب/ المعلم بجامعة القاهرة: تصور مقترح"، مجلة العلوم التربوية، الجزء(١)، العدد(١) جامعة القاهرة، كلية الدراسات العليا. ص ص ٢٩-٦٨.

٣. دراسة الدهمش(٢٠١٦) [١]: واستهدفت إيجاد تصور مقترح لتنمية قيمة التسامح لدى طلاب المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية، واستخدمت المنهج الوصفي المسحي، وأوصت الدراسة بضرورة تطوير المناهج وتضمينها منهج المصطفى صلى الله عليه وسلم في لينه وتسامحه مع صحابته.

٤. دراسة زكي (٢٠١٦) [٢]: سعت إلى إبراز أحد مظاهر الحضارة الإسلاميّة المشرقة، وهو التسامح الديني كما يتجلى في حياة "أبي إسحاق الصابي" (ت٣٨٤هـ)، أحد كبار الكتاب والشعراء العباسيين، الذين عاشوا في كنف الإسلام، وتنعموا بتسامحه وعدله، ففاضت أقلامهم في التعبير عن معاني التسامح والمحبة والإخاء الإنساني. وكان من نتائج الدراسة إثبات أن التسامح الديني عنوان الحضارة الإسلامية، وأن الصابي المتشدد في ديانته، عاش آمنا مطمئنا على عقيدته في كنف الحضارة الإسلامية، وبيان أثر الحضارة الإسلاميّة في أدب أبي إسحاق الصابي وشعره ونثره، حتى أنه كان يخوض في مسائل العقيدة الإسلامية، وذكر محاسن الرسول الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى ليظنه القارئ مسلماً.

٥. دراسة الغامدي (٢٠١٤) [٣]: هدفت تعريف التسامح في الإسلام، وبيان أسسه ومنهجه مع المخالفين على مستوى الأفراد والدولة. وبيان الأخطار التي جلبتها الدعوة إلى التسامح الديني بمفهومه الغربي على عقول فئات من أبناء الأمة الإسلامية. وبيان منهج أهل السنة والجماعة وما يتميزون به من جمع الأمة على منهج رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وقد توصل البحث إلى نتائج منها: أن التسامح الديني من المصطلحات المجملة، لكنه في الفكر الغربي يختلف عنه في الإسلام فالمقصود منه في الفكر الغربي: هو التساهل

---

(١) الدهمش، خالد بن محمد بن عبد الله. (٢٠١٦). تصور مقترح لتنمية قيمة التسامح لدى طلاب المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية، مجلة البحث العلمي في التربية، مصر المجلد (٣) العدد (١٧) ص ص ٣٦٥ – ٣٧٧.

(٢) زكي، علاء الدين. (٢٠١٦). "التسامح الديني في الحضارة الإسلامية- الأديب أبو إسحاق الصابي (٣٤٨هـ) أنموذجًا، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر العلمي الدولي الثاني"حوار الحضارات والثقافات"، ٢٦ -٢٨ نيسان، جامعة الطفيلة التقنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها.

(٣) الغامدي، عبد الرحمن بن أحمد بن مسفر. (٢٠١٤). حقيقة التسامح الديني في الفكر الغربي وموقف الإسلام منه. ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة.

مع الرأي المخالف سواء دينيا أو عقليا للوصول إلى الحقيقة الكاملة والتي لا يملكها دين أو فرد أو جماعة من غير ممارسة للسلطة، وإنما عن طريق إقناع العقل بها؛ بينما المقصود منه في الإسلام: هو التعايش مع المخالف في المعتقد بدون إضرار بدين الإسلام أو المسلمين. وأن التسامح الديني في الفكر الغربي يعتمد على التفكير الفلسفي والأخذ بمبدأ نسبية الحقيقة وبمشروعية الخلاف، بينما في الإسلام على ألا إكراه في الدين وأن الحق واحد وعلى العدل والإحسان. كما أظهرت النتائج أن واقع التسامح الديني في العالم الغربي يدعو إلى: حرية الاعتقاد، وتقديس العقل، وإحياء النزعة الإنسانية ,وأخذه صفة قانونية يتطلب حماية من قبل المجتمع الدولي. وأن انتقال فكرة التسامح الديني بمفهومه الغربي إلى العالم الإسلامي كان بسبب: الضعف والتأخر عن تقديم الإسلام، والجهل بالكتاب والسنة، والاستشراق.

هيكل الدراسة وخطتها:

تكونت الدراسة من مقدمة وأربعة مباحث وعدة مطالب على النحو الآتي:

المقدمة: وشملت ما يلي:

- قضية الدراسة.
- أسئلة الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- الدراسات السابقة.

المبحث الأول: التعريف بالتعايش السلمي، وشمل أربعة مطالب على النحو الآتي:

- المطلب الأول: مفهوم التعايش السلمي.
- المطلب الثاني: أهداف التعايش السلمي في الإسلام.
- المطلب الثالث: التعايش مع الآخر.
- المطلب الرابع: وحدة الأصل الإنساني منطلق رئيسي للتعايش السلمي مع الآخر.

المبحث الثاني: التعايش السلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وشمل ثلاثة مطالب على النحور الآتي:

- المطلب الأول: التعايش السلمي في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: التعايش السلمي في السنة النبوية.
- المطلب الثالث: التعايش السلمي مع غير المسلمين.

المبحث الثالث: أسس التعايش السلمي وركائزه وموجهاته في الإسلام، وشمل ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

- المطلب الأول: أسس التعايش السلمي في الإسلام.
- المطلب الثاني: ضوابط التعايش السلمي في الإسلام.
- المطلب الثالث: شروط نجاح التعايش السلمي مع الآخر.

المبحث الرابع: متطلبات التعايش السلمي مع الآخر في الإسلام، وشمل خمسة مطالب على النحو الآتي:

- المطلب الأول: الاعتراف بالآخر واحترامه.
- المطلب الثاني: جواز الحوار مع الكافر.
- المطلب الثالث: عدم الإكراه في الدين.
- المطلب الرابع: تأكيد الحق في الحرية الاجتماعية.
- المطلب الخامس: تفعيل حوار التقارب والتعايش.

المبحث الأول: التعريف بالتعايش السلمي:

المطلب الأول: مفهوم التعايش السلمي

هو قيمة أخلاقية وسياسية ودينية وقانونية، أساسها المبادئ والقيم الأساسية لحقوق الإنسان، فهو ضرورة حتمية لتحقيق الاستقرار والأمن والتنمية في المجتمع(١).

كما يعرف أيضاً بأنه: "كلمة دارجة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية كانت أم الفردية تقتضي بنبذ التطرف، أو ملاحقة كل من يعتقد، أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء(٢).

ومن ثم يتضح أن التعايش السلمي يشتمل على طائفة من القيم التربوية التي دعا إليها الإسلام كالصبر والصدق والوسطية والمساواة والحوار، وتوضيح ذلك: أن السماحة تحتاج إلى قلب يصبر وهو قادر على الإساءة والرد، وما ذلك إلا كرماً في النفس وسمواً في الروح من شأنه إشاعة روح التسامح والمودة بين الناس، وبالنسبة للصدق فبقدر ما يعم الصدق بين الناس في أقوالهم ومعاملاتهم بقدر ما يُهيأ المناخ للتسامح والتجاوز عن الأخطاء والهفوات الملازمة لسلوك البشر، وبقدر ما يعم التسامح في المجتمع تعم المحبة والرحمة والألفة والمودة، وبالنسبة للوسطية فتتجلى في معاملة الآخرين على الإيثار والإحسان والتسامح، وترفض بشدة التطرف والعنف والإيذاء، وهي لقاء مع الآخر على قاعدة التعاون والتعارف، قبولاً وعطاءً، تسامحًا وحوارًا، وبالنسبة للمساواة فتقتضي التساوي في الحقوق والواجبات، وعلى الناس المتساوين في الكرامة الإنسانية أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء والتكريم والتسامح، لأننا جميعاً بشر وخطاءون، وجميعنا بحاجة إلى التسامح إزاء أخطائنا وهفواتنا، وكما نحب أن يتسامح معنا الناس، يجب أن نعاملهم بتسامح، أما الحوار فضرورة وواجب لا غنى عنه، ولكن الحوار المطلوب ليس ذلك الحوار الذي يهدف إلى مجرد فك الاشتباك بين الآراء والتوجهات المختلفة، إنما الحوار الذي يهدف في الأساس إلى إثراء الفكر، وترسيخ التسامح بين الناس،

---

(١) حسين، الحسين. (٢٠١٥). "تدعيم ثقافة التسامح لدى الشباب الجامعي: تصور تربوي مقترح وفق المنظور الإسلامي"، المجلة التربوية، الجزء (٤٢)، كلية التربية، سوهاج، مصر، ص١٣٦.

(٢) السيقلي، محمد صالح. (٢٠١٢). مدى تضمن محتوى كتب التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية لقيمة التسامح وتصور مقترح لإثرائها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، ص١٦.

وذلك بالبحث عن القواسم المشتركة التي تمثل الثوابت للجميع، وتشكل الأساس المتين للتوحد والترابط لبناء المجتمع ومواجهة التحديات[١].

المطلب الثاني: أهداف التعايش السلمي في الإسلام

تجدر الإشارة إلى أن التعايش السلمي ينطلق منها لغاية كبرى وأهداف سامية يسعى إليها، ومنها على سبيل المثال:

١. **الهدف الأول:** وحدانية الحق وأنه ثابت ومطلق، لا يتعدد ولا يتغير بتغير الناس وأحوالهم وزمانهم. كما قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [٢]. فالإسلام جاء بالحق المبين، والنور المستبين، والعلم اليقين، ليس فيه شك وحيرة، ولا التباس ولا غموض، قال تعالى: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [٣]. فالمسلم حينما يتعايش سلمياً مع الآخر فهو واثق من دينه لا يخالجه أدنى شك من أنه على الحق المبين وهذه عقيدته، فلا تجده يقول بأن لديه نصف الحقيقة، أو أن الحقيقة مشتركة بين البشر فهي نسبة. بل الحق لديه واحد ومطلق مصدره كتاب ربه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذا بخلاف من لم يكن مصدر التلقي عنده كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فتجده متذبذباً شاكاً، بل إنه لا يؤمن حتى يشك، وهذا بسبب عدم إيمانه وصحة معتقده. فالتعايش عند الآخر وجد لعدم معرفته بالحقيقة ومن أين يتلقاها، فهو يبحث عنها عند غيره، بخلاف المسلم فتعايشه لمعرفته بتلك الحقيقة، فهو حينما يدعو ذلك المخالف إنما هدفه من ذلك الوصول به إلى تلك الحقيقة.

٢. **الهدف الثاني:** كسب المخالف ودعوته بالكلمة الطيبة والمعاملة بالحسنى، فلقد بعثنا الله تعالى مبشرين ولم نبعث منفرين، انطلاقا من قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

---

(١) المزين، محمد حسن محمد. (٢٠٠٩). دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدى طلبتها من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، ص١٠٧.

(٢) التوبة: ٣٣.

(٣) الإسراء: ٨١.

أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [١]. فالمخالف حينما يعيش في بيئة مسلمة بسلام ويرى حسن تعامل المسلمين معه، ودعوتهم له تكون بكل هدوء بلا تخويف ولا تهديد يسودها روح التعايش، تجعل من ذلك المخالف يتشوق لمعرفة محاسن هذا الدين على أقل تقدير.

٣. **الهدف الثالث:** وسطية هذه الأمة، فالناظر إلى الأمم الأخرى غير المسلمة، خاصة اليهودية والنصرانية، يرى تعصبهم وعدم قبولهم للآخر، إلا في نطاق ضيق ينطلق من مصلحتهم، فتعايشهم السلمي إن تعايشوا لغرض دنيوي والتاريخ شاهد على ذلك، بينما هذه الأمة قامت على التعايش والعدل منذ قيامها انطلاقا من قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا.....) [٢]. فهذه الأمة وسط بين الأمم التي سبقتها والتي لم يعرف التعايش السلمي فيها إلا نتيجة وحلا للتعصب الأعمى الذي عاشته. أو بين تلك التي إلى الآن لا تعترف بشيء اسمه تعايش سلمي فهي لا تقبل أن يعيش بينها من يخالفها في معتقدها ودينها.

٤. **الهدف الرابع:** إحياء روح الحوار، وإقامة الحجة وإبلاغ دين الله، فالله تعالى، أرسل الرسل وأنزل الكتب حتى تقام الحجة على الناس. كما قال سبحانه وتعالى: (رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) [٣].

٥. **الهدف الخامس:** التعايش بين الأديان السماوية من خلال إرساء الثقة والاحترام المتبادل، قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [٤].

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) النساء: ١٦٥.

(٤) آل عمران: ٦٤.

المطلب الثالث: التعايش مع الآخر

ظهر مفهوم "التعايش" (أو تم الاتفاق عليه) في أمريكا اللاتينية لتكوين " مثل أعلى "للحياة تتقاسمه جماعات متنوعة تنوعاً شديداً ثقافياً أو اجتماعياً أو سياسياً، حياة مشتركة قابلة للنماء، و"العيش معاً " على نحو مستقر بل وربما على نحو دائم مرغوب في حد ذاته، وليس نتيجة لآثاره فحسب، ويستخدم مصطلح " التعايش " Co-existence في العالم الناطق باللغة الإنجليزية – لوصف أناس يعيشون جنباً إلى جنب في سلام، ولا سيما كنتيجة لاختيار مقصود ومتعمد، والواقع أنه ينطوي – كنقيض للحرب – على دلالة طفيفة تعبر عن التكيف Resignation عند قبول الآخر، ويتحقق التعايش مع الآخر عندما يستطيع أناس مختلفون أن يعيشوا معاً بدون التعرض لمخاطر العنف، مع توقع استغلال أوجه الاختلاف استغلالاً مثمراً[١].

أما عن نظرة الإسلام إلى التعايش مع الآخر فتظهر من خلال النظرة الإسلامية إلى العالم الذي نعيش فيه، فالرؤية الإسلامية العقدية والفكرية ترى أن الأصل والقاعدة هو التنوع والتمايز والاختلاف، فالواحدية والأحدية فقط للذات الإلهية، وماعدا ذلك يقوم على التعدد والاختلاف، ذلك هو القانون التكويني الذي يسود ويحكم كل عوالم المخلوقات في الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وفي الأفكار والفلسفات، وفي الشرائع والملل والديانات، ولقد بدأت الإنسانية أمة – جماعة – واحدة ثم صارت شعوباً وقبائل ليتم بينها التسابق والتدافع والتعارف، قال تعالى "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ.." [٢]، ومع سنة وقانون التعددية في الشعوب والأمم ترى النظرة الإسلامية للعالم: أن الأصل هو تنوع الإنسانية في الألسنة واللغات، ومن ثم في القوميات، وكذلك في الأجناس والألوان، قال تعالى "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ"[٣]، ومع التعدد والتنوع في الشعوب والأمم وفي اللغات والقوميات وفي الأجناس والألوان، هناك سنة وقانون التنوع والتمايز في الشرائع

---

(١) موكيوس، أتاناس. (٢٠٠٢). التعايش كتوافق بين القانون والأخلاق والثقافة، مجلة مستقبليات، عدد ١٢١، جينيف، مكتب التربية الدولي، ترجمة محمد البهنسي، ص٢٩، ٣٠.

(٢) البقرة: ٢١٣.

(٣) الروم: ٢٢.

والملل الدينية وفي المناهج والثقافات والحضارات "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"[١]، "وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ"[٢]، وفي هذه النظرة الإسلامية للوجود بعوالمه المختلفة القائمة على التنوع والتعدد تربية للشخصية المسلمة على التعايش مع الآخر في ذلك العصر الذي يموج بالصراعات والاضطرابات[٣].

وأوضحت الدراسات التي قامت بها رابطة الجامعات الإسلامية بشأن العلاقة التي يجب أن تقوم بين المسلمين والغرب، عن ضرورة إقامة علاقة سوية تقوم على الفهم الكامل له والتعاون والتعامل مع الآخرين من منطلق القدرة والفهم العميق لما لديهم، والأخذ والعطاء في مختلف المجالات وعدم الانغلاق على الذات، كما اتفقت هذه الدراسات على أهمية التواصل والتعايش بين شعوب العالم مع مراعاة الذات الإسلامية، وعدم التفريط في المسائل المرتبطة بعقيدة الإسلام أو شريعته[٤].

المطلب الرابع: وحدة الأصل الإنساني منطلق رئيسي للتعايش السلمي مع الآخر

اتفق العلماء على أن النفس الواحدة هي آدم عليه السلام، وأن (زوجها) المقصود حواء عليها السلام، فمن هنا يتقرر أن أصل الإنسان واحد، وأن البشر من أب وأم هما آدم وحواء، فالأصل البشري واحد.

وأن الحكمة اقتضت أن يكون الإنسان مستودع العقل من بين الموجودات العظيمة لأن خلقته ملائمة لأن يكون عاقلا فإن العقل يبعث على التغير والانتقال من حال إلى حال ومن مكان إلى غيره، فلو جعل ذلك في سماء من السماوات أو في

---

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) هود: ١١٨.

(٣) انظر: عمارة، محمد. (١٩٩٧). الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، القاهرة، دار الرشاد، ص١٢١، وعمارة، محمد. (٢٠٠١). الإسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟، القاهرة، مكتبة الشروق، ص١٧.

(٤) عبد السلام، جعفر. (٢٠٠٢). نحو بلورة معاصرة للعلاقة بين الإسلام والآخر، " الإسلام وحوار الحضارات " جـ٢، سلسلة فكر المواجهة، القاهرة، رابطة الجامعات الإسلامية، ص٤١، ٤٢.

الأرض أو في جبل من الجبال أو جميعها لكان سببا في اضطراب العوالم واندكاكها. وأقرب الموجودات التي تحمل العقل أنواع الحيوان ما عدا الإنسان فلو أودع فيها العقل لما سمحت هيئات أجسامها بمطاوعة ما يأمرها العقل به. فلنفرض أن العقل يسول للفرس أن لا ينتظر علفه أو سومه وأن يخرج إلى حناط يشترى منه علفا، فإنه لا يستطيع إفصاحا ويضيع في الإفهام ثم لا يتمكن من تسليم العوض بيده إلى فرس غيره. وكذلك إذا كانت معاملته مع أحد من نوع الإنسان(١).

وبعد تأكيد الأصل الواحد للإنسان تأتي الإشارة إلى قيمة التكريم له في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (٢).

هذه الآية الكريمة بيان لتعداد نعم الله تعالى على جميع الناس فإن هذا الإنسان الذي خلقه بيده ونفخ فيه سبحانه من روحه أنعم عليه نعما لا تحصى تكريما له، ومن أعظم التكريم أنه خلق آدم بيده سبحانه وخلق غيره بطريق كن فيكون، فدل هذا على أنه سبحانه خلقه بأعظم عناية وأتمها وأحسنها، وأكملها، وميزه عن بقية خلقه بأهم صفة، وهي العقل، مع تكريم الخلق، وإحسان التصوير.

كما أكرمه سبحانه بتسخير ما في الأرض له، وتذليلها ليمشي فيها طالباً الحياة، ساعياً في الرزق، وهذا من تمام التكريم.

ومن تكريم الله تعالى لخلق هذا الإنسان تعليمه الكتابة والقراءة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٣)(٤).

زيادة على التكريم يأتي التفضيل،فالتكريم ما أنعم به سبحانه عليه بالمميزات السابقة على سائر المخلوقات، وهذا الذي وضعه في ذاته ابتداء، ثم كمله بأسباب الاكتساب بواسطة العقل والتدبر والنظر لاكتساب الفهم لما أنزل إليه من وحي لاستقامة حياته، وتدبير معاشه بما جعله فوق غيره، فهذا هو التفضيل.

بهذا يتبيَّن خطأ كثير من الفلاسفة والدهريين القائلين بجهل الإنسان الأول

---

(١) ابن قيم الجوزية. (د.ت). مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٦٠.

(٢) الإسراء:٧٠.

(٣) العلق:١-٤.

(٤) ابن قيم الجوزية. (د.ت). مفتاح دار السعادة، مرجع سابق، ص٢٦٨.

وضلاله، وأنه كان لا يعرف سوى شريعة الغاب وهذا من وجوه:

أ- أن الله تعالى ما أهبطه إلى الأرض إلا بعد أن علمه الأسماء كلها.

ب- كيف يكون خليفة في الأرض، وهو من يخلف غيره ويقوم مقامه فيلزم من هذا أن يكون أول هؤلاء الخلفاء وهو آدم ذا علم وحكمة وفهم لتدبير أمره وأمر زوجته وذريته.

ج- بيان منهج الحياة على الأرض المبين في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١).

فبالنظر بين التناسب بين الآيات والسور:

أنه تعالى ذكر أول حال الإنسان كونه علقة، مع أنها أخس الأشياء، وآخر حاله وهى صيرورته عالما، وهو أجل المراتب.

فكأن المعنى: أيها الإنسان قد كنت في أول أحوالك في تلك الدرجة (العلق) وهى في غاية الضعف والمهانة، فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي غاية الشرف.

ثم وصف نفسه بالأكرمية -سبحانه-لأنه أعطى العلم، فلولا أنه أشرف عطاء ما ذكره في موضع المنة، فكيف يكون الإنسان المعلم على حالة أشبه بالحيوان في الغابة(٢).

وقد وصف الإنسان في القرآن بأوصاف عدة منها: الظلم والجهل كما في قوله تعالى: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) (٣)، ومنها الضعف: (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) (٤)، ومنها العجلة: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا)(٥)، ومنها الهلوع: (إِنَّ

(١) العلق:١-٥.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج٨، ص٤٣٧.

(٣) الأحزاب: ٧٢.

(٤) النساء: ٢٨.

(٥) الإسراء: ١١.

الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) [١]، ومنها المكابدة والكدح والكنود وغيرها من الصفات.

وعلى هذا فوحدة الأصل الإنساني أصل في الحوار الحضاري، ومنطلق للوصول إلى الآخرين، وإن تعددت انتماءاتهم ما داموا مسالمين لنا، نلتقي معهم على الإيمان بمطلق الكرامة لبني البشر.

والتوراة والإنجيل متفقان على أن الله خلق آدم أبا البشر أول الخلق، وخلق منه حواء، فالبشر جميعاً ينتمون إلى أصل واحد، وتناسل الخلق منه جميعاً كما جاء في التوراة: (ثم جَبَل الرب الإله آدم من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية) [٢].

وقد أكد بعض أتباع الكنيسة هذا المبدأ عندهم وكرروه، ونقله عنهم مجموعة من الباحثين... فمنهم من قال: (يكمن في الوحدة الجوهرية للجنس البشري، والوعي بأن البشر مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية والوطنية يكونون أسرة إنسانية واحدة، خلقها إله واحد، وتعيش في عالم واحد، ومآلها الأخير واحد، وهذه الوحدة تستلزم وحدة الأصل الإنساني وكرامته، ونبذ الاختلافات بين أعضاء الأسرة الإنسانية) [٣].

ورغم تقرير حقيقة وحدة الأصل الإنساني عند القوم إلا أنه يصطدم بمعتقدات أخرى عندهم تناقضها، فقد حكى المولى ﷻ في كتابه الكريم اختيار بني إسرائيل وتفضيلهم على العالمين (وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [٤]. وهذا التكريم تكريم وقتي لمن آمن منهم فقط، ومع ذلك فقد أصبح اليهود يتشبثون دائماً بعهد الاصطفاء الأول، ويتشدقون به، ويغضون الطرف عما أحدثوا بعده من كفر وعناد، بل إنهم يزعمون أنهم لا يزالون شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، ويستندون إلى ما جاء في التلمود المحرفة من استعلائهم على الجنس البشري، وأن الدنيا بما فيها ملك لهم، ويحق لهم التسلط على من عداهم بالتسخير والاسترقاق،

---

(١) المعارج: ١٩.

(٢) الحسين، عبد اللطيف بن إبراهيم. (١٤١٩هـ). تسامح الغرب مع المسلمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ص١١٣.

(٣) صعب، حسن. (١٤١١هـ). الحوار الإسلامي المسيحي، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، بيروت، ص ١، ٤.

(٤) الدخان: ٣٢.

وأن سائر الناس غيرهم حيوانات في صورة إنسان[١].

وأما النصارى فإنهم لم يغالوا كغلو اليهود إلا أنهم تأثروا نتيجة الثقافة الرومانية وتنكس الكنيسة وتنكرها للمبادئ الأساسية لتعاليم المسيح عليه السلام؛ حيث اصطبغت الكنيسة بالفكر الروماني في تقسيم البشر إلى سادة وعبيد بحكم الأصل والخلقة، وصارت هذه النظرة نظرة دينية قامت على فكرة الخطيئة، وهي أن آدم وحواء أكلا من الشجرة التي نهيا عنها، وارتكبا بذلك خطيئة لا تغتفر، وبهذا فليس للإنسان بسبب ذلك كرامة ذاتية ما دام وارثاً لهذه الخطيئة، وليس يخلصه منها إلا الإيمان بالمسيح[٢].

ومهما قررت المجامع الدينية والمؤتمرات الكنسية عندهم من وحدة الأصل الإنساني، فالواقع والمشاهد يخالف ما قرروه، فالاستعلاء على الشعوب الضعيفة عبر الاستعمار الحديث، وسحق ملايين البشر البائسين، كل ذلك وأشباهه شاهد على مخالفة تلك القرارات المزعومة[٣].

إذن وحدة الأصل الإنساني تعتبر منطلقاً عظيماً، وأصلاً مهماً في أي حوار حضاري، لا بد أن يصبح سمة لجميع المتحاورين، يدفعهم إلى عدم الاستعلاء والترفع أو احتقار الآخرين بسبب لونهم أو جنسهم أو موطنهم [٤].

(١) الخطيب، عمر. (١٤٠٣هـ). نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ص٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص٦٠.

(٣) السنيدي، فهد. (١٤٢٦هـ). الفرق المعاصرة المنتسبة للإسلام في أمريكا وأثرها العقدي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، الرياض، ص٨٧.

(٤) النملة، علي. (١٤٢٥هـ). الشرق والغرب، محددات العلاقات ومؤثراتها، الرياض، ص٥٥.

المبحث الثاني: التعايش السلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

المطلب الأول: التعايش السلمي في القرآن الكريم:

وردت العديد من المعاني التي تحمل في طياتها معاني التعايش السلمي مثل: السماحة في المعاملات بين الناس، الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، الحلم وكظم الغيظ وسعة الصدر، العفو والصفح، ويتضح ذلك فيما يلي:

- السماحة في المعاملات بين الناس: يقول ﷻ: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [(١)]، فقد أمر الله ﷻ بإنظار المعسر، فمتى ما أُعسر الرجل وثبت إعساره فلا سبيل لرب المال إلى مطالبته بماله إلى أن يظهر يساره، فإذا ظهر يساره كان عليه توفير الحق إلى رب المال، وعلم أن الحقوق تُخلَف، وكل حق لزم الإنسان عوضاً عن مال حصل في يده مثل قرض أو ابتياع [(٢)]، فالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاءً لدينه، امتثالاً لأمر الدين الحنيف بالصبر عليه، فإذا لم يستطع أداء دينه كان التصدق عليه يقول ﷻ: (وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون)، أي: أن تتركوا رأس المال للمدين بالكلية وتضعوه عنه [(٣)]. وهذا يدل على التسامح في المعاملات بين الناس حيث يكون له أثر طيب في النفس، وتقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع.
- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة: يقول ﷻ: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)، فالله ﷻ يخاطب نبيه ﷺ - بالدعوة إلى الله ﷻ - عن طريق الكلمة والموعظة الحسنة، وهما من أسس التسامح الذي يجب أن

---

(١) البقرة آية: ٢٨٠.

(٢) الثعلبي، أحمد بن محمد. (٢٠٠٢). الكشف والبيان"تفسير الثعلبي"، المجلد ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص٢٨٦.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص٣٣١.

يتحلى به المسلم[١]، وقال ﷻ: (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [٢]، ففي هذه الآية دعوة للنبي ﷺ إلى الصبر على جهالة الكفار، وترك الانتقام، ثم قال: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يعني: ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق الذي هو أحسن، فإنك إذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى، ولم تقابل سفاهتهم بالغضب والإيذاء، استحيوا من أخلاقهم المذمومة، وتركوا الأفعال القبيحة، فينقلبوا من العداوة إلى المحبة، ومن البغض إلى المودة[٣].

- الحلم وكظم الغيظ وسعة الصدر: يقول ﷻ: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) [٤]، وقد جاء في تفسير هذه الآية: أي برحمة الله لك ولأصحابك منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك وخفضت لهم جناحك، وترفقت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك، فالأخلاق الحسنة تجذب الناس إلى دين الله وترغبهم فيه مع ما لصاحبه من الثواب والأجر، والأخلاق السيئة تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه مع ما لصاحبها من العقاب[٥]، وقال ﷻ: (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا)" [٦]، ففي هذه الآية تأديب عجيب، وقول لطيف بديع أي: لا تعرضن عنهم إعراض مستهين عن ظهر الغنى، وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند عجز وعدم استطاعة، (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا)، أي: ليناً لطيفاً طيباً، كالدعاء لهم بالغنى وسعة الرزق، وعِدهم بأن الله إذا يسر من فضله رزقاً أن تعطيهم منه، وهذا

(١) الزيد، عبد الكريم زيد. (٢٠٠٦). التسامح في الإسلام، الرياض، دار إمام الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ص٤٠.

(٢) فصلت: ٣٤.

(٣) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (٢٠٠٠). التفسير الكبير، ج ٢٧، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١١٠.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) انظر: الثعلبي، أحمد بن محمد. (٢٠٠٢). الكشف والبيان"تفسير الثعلبي"، المجلد ٢، مرجع سابق، ص٢٨٦، و السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (٢٠٠٤). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القاهرة، مكتبة الصفا، ١٥٤.

(٦) الإسراء: ٢٨.

تعليم عظيم من الله ﷻ لنبيه لمكارم الأخلاق، وأنه إن لم يقدر على الإعطاء الجميل فليتجمل في عدم الإعطاء؛ لأن الرد الجميل خير من الإعطاء القبيح[١].

- العفو والصفح: يقول الله ﷻ مخاطباً نبيه ﷺ: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) [٢]أي: الصفح الذي لا أذية فيه، بل قابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لينال المتسامح من ربه جزيل الأجر والثواب [٣]، ويذكر القرآن الكريم العفو أيضاً الذي هو أساس التسامح وركن من أركانه في قوله ﷻ: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [٤][٥]. وقد شمل العفو والصفح أهل الكتاب، وقد تمثل ذلك في قول الله ﷻ: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [٦]، وكذلك شمل العفو والصفح المشركين فقال ﷻ: (وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ. فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [٧]، فيذكر الطبري في تفسير هاتين الآيتين: أن يصفح النبي ﷺ عن المشركين، ويعرض عن أذاهم [٨]، فالتسامح مع غير المسلم سمة من سمات الإسلام، وفضيلة من الفضائل التي أمر الإسلام بالالتزام بها.

ومن الآيات القرآنية الكريمة التي أنزلها الله تعالى، لتسمو بالمؤمن إلى أعلى درجات العفو والتعايش السلمي، تلك الآية التي نزلت في شأن أبي بكر الصديق رَضِيَّ اللهُ عَنْهُ وابن خالته مسطح بن أثاثة، الذي شارك في حديث الإفك الباطل، فقد كان مسطح من فقراء المهاجرين، وكان أبو بكر، رَضِيَّ اللهُ عَنْهُ ينفق عليه لقرابته منه، فلما وقع حديث الإفك، وعلم أن مسطحاً كان من المتورطين فيه،

---

(١) الشنقيطي، محمد الأمين. (١٩٩٥). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٣، بيروت، دار الفكر، ص٨٦.

(٢) الحجر: ٨٥.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (٢٠٠٤). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص٤٣٤

(٤) الأعراف: ١٩٩.

(٥) الحازمي، منال بنت جابر بن ساعد. (٢٠١٠). التوجيهات التربوية للتسامح من خلال كتاب (السيرة النبوية) لابن هشام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإدارية بمكة، جامعة أم القرى، ص٧٦.

(٦) البقرة: ١٠٩.

(٧) الزخرف: ٨٨-٨٩.

(٨) الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٢هـ). تفسير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ص١٠٦.

حلف أن لا ينفق عليه أبد الدهر لظلمه لابنته ووقوعه في عرضها، فأنزل الله تعالى في ذلك: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(١).

لقد كان أبو بكر، رَضِيَّ اللهُ عَنْهُ رفيقا رحيما كثير الشفقة والرحمة، ولم يكن من عادته الشدة والقسوة، كما هو معروف عنه وعن سيرته رَضِيَّ اللهُ عَنْهُ، ولكن شأن هذه الحادثة المفتراة كان لا يحتمل، فقد كان يتناول عرض ابنته أعف نساء العالم وزوجة أفضل الأنبياء والرسل، ينزل جبريل في بيتها فيتلو وحي الله على نبيه، فلم يكن غضب أبي بكر رَضِيَّ اللهُ عَنْهُ، انتقاماً لنفسه وإنما كان لله- وإن كانت نفسه البشرية لا ترضى بالضيم الواقع عليها – وكان ما ينفقه على مسطح فضلا منه وإحسانا، فرأى أنه لا يستحق ذلك الفضل والإحسان، لعظم مساءته التي اقترفها، فقطع عنه النفقة، ومع ذلك يؤكد الله تعالى عليه تلك التأكيدات المتوالية، ليعفو ويصفح عن مرتكب ذلك الذنب العظيم، ويعيد إليه فضله: فقد نهاه في الآية الأولى عن الاستمرار في حلفه: (ولا يأتل) وذكره بالقرابة التي شرع الله وصلها، وبالمسكنة التي يستحق صاحبها الرحمة والإحسان، وبالهجرة التي هي من أعظم ما يتقرب به المسلم إلى ربه في سبيل دينه، ثم أمره بالعفو والصفح.

ثم أتبع ذلك بالتشويق الذي لا يقدر المؤمن العادي على عدم الاستجابة له، فضلا عن أفضل هذه الأمة بعد نبيها وهو أبي بكر الصديق رَضِيَّ اللهُ عَنْهُ: (ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)، وكأن الله تعالى يذكر المؤمن بأنه إذا اعتدى عليه أخوه المؤمن فليغضب لانتهاك حرمة الله المتعلقة به، ولكن عليه أن يتجاوز عن زلة أخيه ويعفو كما يحب أن يعفو الله عنه إذا عصاه.

(١) النور: ٢٢.

المطلب الثاني: التعايش السلمي في السنة النبوية:

وأما التعايش السلمي من وجهة نظر السنة النبوية الشريفة فإنه يتشارك مع ما جاءت وحملته هذه اللفظة لغوياً، فإن معنى التعايش هو التساهل والمساهلة في كل جوانب الحياة، ويتحدث القرآن الكريم عن رسالته صلى الله عليه وسلم، فيقول تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاك إِلَّا رَحْمَة لِلْعَالَمِينَ)[١] فإن الرحمة والسلم والسلام جاء بها الإسلام للناس كافة. فالرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قائد الحركة السلمية الأولى في تاريخ العالم. وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حامل راية السلم والسلام لأنه يحمل للبشرية النور والهداية والخير والرشاد والرحمة والرأفة.

والمتتبع لسيرة النبي – صلي الله عليه وسلم – يجد أنه ضرب أروع الأمثلة للتعايش السلمي في المعاملة عندما ألغى العنصرية وأزال الحواجز النفسية والعصبيات القبلية بحيث يكون الرباط بين المسلمين هو رباط الأخوة، إذ لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى، فقد آخى النبي – صلى الله عليه وسلم – بين الأحرار والموالى، فآخى بين عمه حمزة بن عبد المطلب وزيد مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مما كان له أثره المحسوس في سرعة الاندماج بين الأفراد بعضهم بعضا في مظهر الإخاء الذي كان أحد السمات البارزة في القضاء على الفوارق الاجتماعية، والقضاء على العنصرية والتفاخر والتخلي عن صفات الأنانية وحب الذات، فأقام - صلي الله عليه وسلم - مجتمعاً جديداً أساسه التضامن والتكافل الاجتماعي[٢].

وقد حث النبي - صلى الله علية وسلم - على التعايش فيما بين المسلمين وغيرهم، ومن ذلك السماحة في القرض وإنظار المعسر وفى البيع والشراء، فقال – صلى الله عليه وسلم – (رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى) [٣]، ولم يقتصر تسامح النبي - صلى الله عليه وسلم - على المسلمين فقط، بل شمل أهل الكتاب والمشركين، ويظهر ذلك من خلال معاهداته وحروبه ومعاملاته، كما في موقف النبي - صلى الله عليه وسلم – عندما فتح مكة قائلا

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) المخزنجي، السيد أحمد. (١٩٨٧). العدل والتسامح الإسلامي، دعوة الحق سلسلة شهرية، عدد ٦٧(مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ٩، ١٠.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٩٩٧). سنن البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ج٢، ص٧٢.

لمشركي قريش: (ما تظنون أني فاعل بكم ؟) قالوا: أخٌ كريم وابن أخ كريم، فقال - صلى الله عليه وسلم -: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) [١].

وتشتمل السنة النبوية المطهرة على العديد من صور التعايش السلمي والتي تدل على التأصيل الإسلامي للتعايش السلمي كقيمة أمر بها الإسلام، ويمكن عرض بعضاً من المواقف التي تجلت فيها سماحة النبي ﷺ وذلك فيما يلي:

- السماحة في البيع والشراء: تعددت الأحاديث التي تحوي مواقف تدل على سماحة النبيﷺ في المعاملات عموماً وخاصة البيوع، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه- أن النبيﷺ قال: "إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء"[٢]، وكذلك قوله ﷺ: "أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً، وبائعاً، وقاضياً، ومقتضياً" [٣]، ففي هذين الحديثين حض على المسامحة وحسن المعاملة، واستعمال محاسن الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة في البيع فذلك سبب لوجود البركة؛ لأنه ﷺ لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم دنياً وديناً، وأما فضل التسامح في الآخرة، فيتضح من دعائه ﷺ بالرحمة والغفران[٤]. فالتسامح ليس قيمة اجتماعية، أو مبدأ إسلامياً فحسب، وإنما أداة للإدارة الاجتماعية، حيث يقدم العلاقة الإنسانية على قيم السوق، تهذيباً لنفس المسلم من التكالب على الربح دون الإحساس بمشاعر المحبة والإخاء[٥].
- السماحة في التجاوز عن أخطاء الآخرين: تتجلى سماحة النبيﷺ في تعامله مع المخطئ والمسيء والمذنب بالرفق واللين، كما حدث مع الغامدية حيث قال لها:

---

(١) المباركفوري، صفي الرحمن. (٢٠٠٧). الرحيق المختوم" بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام"، الطبعة التاسعة عشر، القاهرة، دار الوفاء، ص٣٤٨.

(٢) النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم. (١٩٩٠). المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٦٤.

(٣) القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله. (د.ت). سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٢، بيروت، دار الفكر، ص٧٤٢.

(٤) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. (د.ت). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج١١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص١٨٩.

(٥) عزت، هبة رؤوف. (٢٠٠٥). التسامح بوصفه أداة للإدارة الاجتماعية، مجلة المعرفة، العدد ١٢١، الرياض، السعودية، ص١٦.

لعلك...لعلك، فتقول: أتريد أن تردني كما رددت ماعزاً يا رسول الله؟ والله إني لحبلى من الزنا، فأقام عليها الحد بعدما وضعت وفطمت طفلها، وعندها قال النبي ﷺ :"لقد تابت توبة لو وزعت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم"[١]. ويظهر تعامله ﷺ بالرفق واللين والعفو عندما بال الأعرابي في المسجد، فلم يعنفه، وإنما صفح عنه، فالتعامل بالرفق واللين معه أحدث أثراً بالغاً في نفس ذلك الأعرابي فجعله يقول: "اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال له النبي ﷺ: "لقد حجرت واسعاً"[٢]، وبذلك يظهر أثر التسامح في تأليف القلوب، ونشر المحبة والتسامح بين أفراد المجتمع.

- الرفق واللين في معاملة الرسول ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم: تتجلى سماحة النبي ﷺ في معاملته لأصحابه الكرام، فهو القدوة الحسنة، ومما يُذكر في ذلك: ما أورده البخاري في قصة الأعرابي مع النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال:" كنت أمشي مع النبي ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء"[٣]، وفيه دلالة على قوة حلمه ﷺ.

وشدة صبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه لدخول الإسلام، وليتأس به المسلمون من بعده في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء، والدفع بالتي هي أحسن [٤].

وتظهر سماحته ﷺ أيضاً مع الخدم والأجراء، فقد ورد عن أنس بن مالك- رضي الله عنه– "أنه خدم الرسول ﷺ عشر سنوات فلم يقل له لشيء عمله قط: لم عملت كذا وكذا؟ ولا لشيء تركه: لم تركت كذا؟"[٥]، وكذلك ما ورد عند مسلم في صحيحه

---

(١) مسلم، سلم بن الحجاج. (د.ت). صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث، د.ت، ج٣، ص١٣٣٤.

(٢) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد ابن حنبل الشيباني. (١٤١٩هـ). المسند، القاهرة، المكتبة العلمية، ص٢٣٩.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣، ص١١٤٨.

(٤) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. (د.ت). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج١١، ص١٥١.

(٥) الطبراني، سليمان بن أحمد. (١٩٨٤). مسند الشاميين، ج٣، بيروت مؤسسة الرسالة، ص١٩٠.

أنهﷺ ما ضرب بيده شيئاً قط لا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله [١]، وقد كان النبيﷺ يتخير الوقت المناسب لموعظة أصحابه – ﷺ – مخافة المشقة، وفيه "رفق النبي ﷺ بأصحابه، وحسن التوصل إلى تعليمهم وتفهيمهم؛ ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر وملل"[٢].

فالرفق فيه صلاح النفوس وتتأثر وتؤثر به، وينزع منها الحقد والشحناء، حتى وإن كانت قاسية، وهذا من مطالب التربية التي تسعى لتحقيقها[٣].

(١) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج٣، ص١٨١٤.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (١٩٨٦). فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١١، القاهرة، دار الريان للتراث، ص٢٣٢.

(٣) البقعاوي، صالح بن سليمان. (١٤٢١هـ). مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية، الدمام، دار ابن الجوزي، ٨٧.

المطلب الثالث: التعايش السلمي مع غير المسلمين

ضرب الله للمسلمين أعظم مثل للتعايش في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) [1]. والله يسوي في الآية بين المؤمنين واليهود والنصارى من أهل الكتب السماوية... قائلا: إن من آمن منهم جميعا بوحدانيته وبالبعث وعمل صالحا لنفسه ولغيره، فكل هؤلاء لهم أجرهم وثوابهم عند الله يوم القيامة، ولا خوف عليهم فيها، ولا يلحقهم أي حزن! فأي تسامح أعظم من هذا التسامح مع هؤلاء إذا آمنوا بربهم وبالبعث وعملوا عملا صالحا لهم ولمجتمعهم! والله بذلك يلغي التعصب للديانات، ويريد من المسلمين التعايش مع من يخالفهم في الدين حتى لو كان من المشركين، وهو تعايش يبلغ بالحياة الإنسانية أقصى ما يريده الله لها من السمو.

والله سبحانه وتعالى في آيات مختلفة من القرآن الكريم يطلب من المسلمين أن يتعايشوا مع المشركين، وكان الرسول ﷺ قد نهى المسلمين عن أن يتصدقوا على فقراء المشركين كما يتصدقون على فقراء المسلمين، أملا في أن يضطرهم ذلك إلى اعتناق الإسلام، فأنزل الله على رسوله سورة البقرة: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ)، أي: إنما عليك التبليغ والإرشاد، ودع الناس وما يختارون لأنفسهم من الدين، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فضلاله عليها: (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)، أي: أن هداهم مفوض إلى الله وحده. (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ)، على فقراء المسلمين والمشركين (فَلأَنْفُسِكُمْ)، أي: ثوابه يعود إليكم، (وَمَا تُنْفِقُونَ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ)، لا للسمعة والشهرة والرياء، وإنما ابتغاء وجه الله وطلبا لرضاه، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ)، للمسلمين والكفار (يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) [2] أي: دون ظلم يصيبكم. وهو مظهر عظيم لتعايش المسلمين مع فقراء مكة الكفار، إذ كان وراءهم كثيرون من كفار مكة العتاة يؤذون المسلمين. والله حمل المسلمين على التسامح مع فقرائهم رحمة بهم وإشفاقا عليهم، وأكثر من ذلك أن الله ﷻ يطلب من المسلمين أن يتعايشوا مع من كان يؤذيهم من كفار مكة الجبابرة العتاة قائلا في سورة الجاثية: (قُلْ) يا محمد (لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا

---

(١) البقرة: ٦٢.

(٢) البقرة: ٢٧٢.

يَكْسِبُونَ)[١]، وهذه الآية نزلت في نفر من أصحاب الرسول ﷺ أصابهم أذى شديد من كفار مكة الذين لا يرجون جزاء الله، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يتجاوزوا عن ذلك ويغفروا لهم أذاهم، معتصمين بالصبر.

وكما أمر الله رسوله والمسلمين بالتعايش مع أهل الكتاب أمرهم أيضا بالعفو والصفح عن إساءاتهم، كما قال تعالى: (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [٢]، والعفو: التسامح في عقوبة الذنب، والصفح: الإعراض عن اللوم وتركه، وهما درجتان رفيعتان من التسامح ويحث الله عليهما في القرآن مرارا وتكرارا، وكان الرسول ﷺ مثلا رفيعا للتعايش. وكان كلما آذاه قرشيون أو ردوا عليه ردا منكرا حين كان يتلو عليهم القرآن رفع يده إلى ربه ضارعا قائلا: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" [٣].

ولم يحدث أن انتقم من أحد أساء إليه، أو دعا عليه، وفي غزوة أُحُد جرح في وجهه وكسرت رباعيته (السن بين الثنية والناب) اليمنى السفلى بحجر وهشمت الخوذة على رأسه الشريف ﷺ، ولم يؤاخذ أحدا في فتح مكة ممن صنعوا ذلك به، بل سامحهم وعفا عنهم. وقد استسلم أهل مكة لجيشه، وعدوا بذلك جميعا أسرى حرب يسترقون، غير أنه عفا عنهم جميعا ورد إليهم حرياتهم، وقال: «من دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» [٤]. وكان أبو سفيان قد رأى نيران عسكر رسول الله ﷺ بالقرب من مكة، فذهب يستطلع، فلقي العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، فقال له: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله في جيش ضخم لا قبل لمكة به. فقال له: فما الحيلة؟ فقال له العباس: انهض معي إلى رسول الله، ورآهما عمر ودخل على الرسول في أثرهما، وقال: يا رسول الله، هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بلا عقد ولا عهد، فأذن لي أضرب عنقه، فأبى الرسول ذلك عليه. وكان ذلك تسامحا عظيما منه لرأس الكفار في قريش، وقال للعباس: احمله إلى رحلك حتى الصباح، وأعلن أبو

(١) الجاثية: ١٤.

(٢) البقرة: ١٠٩.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٣، ١٨٢.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج٣، ص١٤٠٦.

سفيان إسلامه، وأكرمه رسول الله بأن قال: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن" [١]، وهو تسامح ثان كريم لأبي سفيان شيخ قريش، وتسامح الرسول ﷺ مع قريش تسامحا عظيما، إذ لم يفرض عليها الاسترقاق، ورد إليهم حرياتهم حتى على من نكل بالمسلمين في هزيمة أحد، وأيضا على من حاول مقاومة جيش الرسول في دخول مكة مثل: عكرمة بن أبي جهل، وكان قد فر متجها إلى اليمن، فاستأذنت زوجته له الرسول فأمنه، وأتت به إلى الرسول ﷺ فأسلم وحسن إسلامه. وهكذا لم يبق في مكة قرشي - عادى رسول الله ﷺ وحاربه - إلا سامحه بمجرد إعلانه لإسلامه وعفا عنه، وقال لأهلها جميعا «اذهبوا فأنتم الطلقاء» [٢]، جمع: طليق، وهو الأسير الذي فكت عنه قيوده وخلي سبيله. وهو تسامح لا مثيل له سارت به الركبان في جميع أنحاء الجزيرة العربية.

وكان ﷺ لا يزال يدعو المسلمين إلى التسامح الكريم والتعايش السلمي، وكان يقول: "من سره أن ترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه"[٣]، وهو يطلب من المسلم أن يسامح أخاه حتى لو كان ظلمه في بعض حقوقه، وحتى لو كان حرمه من عونه في أيام حاجته إلى العون، وحتى لو كان قريبا له وقطع ما بينهما من صلة الرحم والقرابة[٤].

(١) ابن حبان. (١٩٩٣). صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ج١١، ٧٥.

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين. (١٤٠٥هـ).السنن الكبرى، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٩، ١١٨.

(٣) الهيثمي. (١٤٠٧هـ). مجمع الزوائد، دار الريان للتراث، الطبعة الثانية. القاهرة، بيروت، ج٩، ص١٨٩.

(٤) ضيف، شوقي. (١٩٩٩). عالمية الإسلام، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، ص٩٣.

المبحث الثالث: أسس التعايش السلمي وركائزه وموجهاته في الإسلام

المطلب الأول: أسس التعايش السلمي في الإسلام

لقد أسس الإسلام للتعايش السلمي أسساً راسخة، وعقد له مواثيق متينة، وفصّل تفصّيلا مبيناً بين واجب المسلمين بعضهم مع بعض في تضامنهم وتوادهم من جهة ما يجمعهم مع الجماعة الإسلامية، وبين حسن معاملتهم مع من تقتضي الأحوال مخالطتهم من أهل الملل الأخرى؛ وهذه الأسس تتمثل في عدة عناصر أساسية على النحو التالي:

الأساس الأول: أن الإسلام الذي أتى به جميع الأنبياء عليهم السلام، وحده هو الدين الحق، كما قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[(١)]، فمع أن سائر الديانات ليست على حق وباطلة، يقف الإسلام منها موقف التسامح؛ فالمسلم حين يتعامل ويتعايش مع المخالف له في المعتقد لا يعني من هذا إقراراً بصحة معتقد المخالف وأنه على حق فالدين الحق الذي لا يقبل الله غيره هو دين الإسلام[(٢)].

الأساس الثاني: عدم إكراه غير المسلمين لاعتناق الإسلام، كما قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...) [(٣)]. وتكاد تجمع كتب التفسير والفقه على اعتبار أن هذه الآية تمثل قاعدة كبرى من قواعد الإسلام، وركناً عظيماً من أركان سماحته، فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه، ولا يسمح لأحد أن يكره أهله على الخروج منه.

الأساس الثالث: العدل والإحسان فالمسلم مأمور من ربه أن يعدل مع الناس جميعاً، ولا يجوز أن يحمله شنآن قوم – أي شدة بغضه لهم – أن يحيد عن منهج العدل، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) هدايات، سور رحمن. (٢٠٠١). التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ص٦٥.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْم عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [١]، وقال تعالى: أيضاً(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [٢]. فالآية ترغب في العدل والبر مع الكافر غير الحربي بدليل محبة الله للمقسطين في نهاية الآية. فمعاملة أهل الكتاب بالعدل والإحسان هو من سماحة الإسلام، وليس في ذلك خلط بين هذه المعاملة وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله تعالى ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين.

الأساس الرابع: عدم أذية غير المسلمين بقول أو فعل، فمن المنهي عنه سب معتقداتهم أو الاستهزاء بما يدينون به درء للمفسدة، وتمكينهم من ممارسة دينهم وإعطائهم الحرية الكاملة في ذلك مع مراعاة النظام والشعور العام. فإن من سماحة الإسلام تركهم على ما هم عليه بلا تضييق عليهم، ولكن لا يكون ذلك علناً أمام الملأ، وفي الأماكن العامة لأنهم يكونون في بلاد تحكم بالإسلام فهم تحت سلطانه.

الأساس الخامس: عدم السماح للباطل بالظهور، فالإسلام يعلو ولا يعلا عليه، وأهل الإسلام يجب أن يظهروا الحق في بلادهم، ويجعلونه عزيزا غالباً، وألا يسمحوا للباطل بالظهور والاستعلاء، لأن ذلك إعلاء له وتوهيناً للحق، وخذلاناً للدين. وإن عدم السماح للباطل بالظهور يؤدي إلى تمكين الحق، وذلك أعظم دعوة له، وهذه سنة الله تعالى، فإن الحق إذا حضر زهق الباطل، وإذا غاب ظهر الباطل قال تعالى: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)[٣].

فكان من أحكام الإسلام الثابتة عدم السماح للباطل بالظهور، سواء كانت شعائر كفر من قبل أهل الذمة، أو شعائر بدع، أو مذاهب منحرفة عن الإسلام، أو معاصي ومنكرات [٤].

---

(١) المائدة: ٨.

(٢) الممتحنة: ٨.

(٣) الإسراء: ٨١.

(٤) القحطاني، يوسف محمد. (٢٠١٠). التعددية العقائدية وموقف الإسلام منها، دار التدمرية، ٢٩٩.

المطلب الثاني: ضوابط التعايش السلمي في الإسلام

يعد التعايش السلمي شرط للسلام والوئام في سياق الاختلاف، وغيابه يعني: انتشار العنف، والتعصب، وسيادة عقلية التجريم والتحريم، سواء على الصعيد الفكري، أو السياسي، أو الاجتماعي، أو الديني، أو ما يتعلق بنمط الحياة، ومع ذلك كله لا يُؤخذ التسامح على إطلاقه ولا ينبغي أن تُتلقي دعاوى التسامح، ويُهتف لها دون بصيرة ونظر فكم من حق أريد به باطل[١]، وبالتالي لا بد للتسامح من ضوابط ومحددات تربوية تتضح فيما يلي:

١. ينبغي ألا يفهم التعايش السلمي على أنه موقف الضعيف، أو ينمّ عن ضعف، ولا هو موقف الامتنان، أو التعالي بإبداء العفو والصفح من موقع الترفع على الآخرين، وإنما هو الموقف الذي تتجلي فيه قوة الضمير وتظهر فيه شفافية النزعة الإنسانية لدى المتسامح، وتسمو فيه روحه الأخلاقية[٢]، فالإسلام حينما حث على التعايش السلمي فالمقصود: التعايش الإيجابي الإيجابي، أما التعايش المذموم المذموم الذي يُنشئ مذلة وهواناً، فهذا لا شأن للإسلام به[٣].

٢. لا ينبغي أن يفهم التعايش السلمي على أنه نوع من الانفلات واللامسئولية، وإنما المقصود التعايش الذي لا يُلغي الفوارق، والاختلافات، ولا يتجاوز كذلك الخصوصيات.

ويذكر أحد الباحثين بعض ضوابط التعايش السلمي فيما يأتي[٤]:

- ألا يقصد بالتعايش السلمي التساهل في الالتزام بتعاليم الدين، وقلة التمسك به، كما لا يقصد به التنازل عن الحقوق الأساسية الضرورية للحياة، سواء

---

(١) المزين، محمد حسن محمد. (٢٠٠٩). دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدى طلبتها من وجهة نظرهم، مرجع سابق، ص١١٩.

(٢) الميلاد، زكي. (٢٠٠٧). الإسلام والاصطلاح الثقافي، المملكة العربية السعودية، القطيف، دار أطياف للنشر والتوزيع، ص٨١.

(٣) أبو خضير، منصور محمد أحمد. (٢٠٠٧). التسامح وآثاره التربوية في الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ص٣.

(٤) المزين، محمد حسن محمد. (٢٠٠٩). دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدى طلبتها من وجهة نظرهم، مرجع سابق، ص١٢٠.

كانت حقوقاً فردية كحق الحياة، وحق العمل..، أو حقوقاً جماعية فذلك ليس من التعايش السلمي في شيء.

- تقتضي الحكمة عن الحكم على مصطلح أو مفهوم حَمّال أوجه كمصطلح "التعايش السلمي" أن يُستفسر عما يريد به مُطلِقِه، فإن أراد حقاً أُيِّد، وإن أراد باطلاً رُدَّ عليه.
- أن يكون تعايشاً في حزم، أي: أنه يشرع التعايش السلمي في الموضع الذي يكون فيه التعايش خيراً، فأحياناً لا يكون التعايش خيراً، ولذلك يُلاحظ أن القرآن الكريم قيد العفو بالإصلاح فقال ﷻ: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (١).
- يجب ألا تُحَكّم العاطفة في العفو عن الجناة في كل حال، بل لا بد من توافر الرحمة والرأفة، وأيضاً الحزم والعزيمة والقوة، وقد قال الله ﷻ: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٢).
- الانتباه إلي ما تخفيه بعض دعاوي "التعددية" وراء مظهر التعايش، والرحابة الفكرية البراقة من دعوة عنصرية لفرض قيم وتوجهات معينة على الثقافات الأخرى.

(١) الشوري: آية٤٠

(٢) النور: آية٢.

المطلب الثالث: شروط نجاح التعايش السلمي مع الآخر

يتوقف نجاح التعايش السلمي مع الآخر على التزام أطرافه بجملة من القيم والأخلاقيات من بينها ما يلي[١]:

- احترام التعددية الثقافية لجميع الشعوب انطلاقا من حقيقة تمايز البشر من حيث اللون والعرق والثقافة.
- الإقرار بأن التنوع الإنساني مصدر إثراء للوجود البشري والثقافة الإنسانية، وتجنب الأفكار المسبقة، والسعي نحو معرفة الآخر كما يقدم نفسه.
- البحث عن أساليب التقارب، ونبذ ما يفرق، وقبول خصوصيات الآخر، والاحتكام إلى العقلانية في الحوار والتحالف.
- الحرص على البحث عن الوجوه الايجابية في الثقافات وإبرازها.
- تنمية روح النقد لتلافي السلبيات المتوارثة في النظرة المضخمة للذات.
- السعي إلى أن يكون الحوار المؤدي إلى التحالف رصينا وبعيدا عن كل أشكال التعصب، واعتماد النزاهة الفكرية.

(١) اللاذقاني، محيي الدين. (٢٠٠٤). التسامح والتعصب في فكر رواد عصر النهضة المجهضة، جريدة العرب الدولية، الشرق الأوسط، العدد (٩٢٠١)، فبراير، ص١٤٧.

المبحث الرابع: متطلبات التعايش السلمي مع الآخر في الإسلام

المطلب الأول: الاعتراف بالآخر واحترامه

إن الاعتراف بالآخر واحترامه يشكل قاعدة مهمة للتعامل الإنساني، لكونها تنطلق من دعوة ربانية: (وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ)[١]، وكثير من الآيات في الوحي الكريم، تمثل مظهراً من مظاهر الاعتراف بالآخر؛ كما أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اعترف بالآخر، وكاتبه وراسله، وطلب من أصحابه رَضِيَّ اللهُ عَنْهُم، أن يتعلموا لغته[٢].

ولا حدود للحوار مع الآخر، لا من ناحية من يمكن أن نفتح معهم الحوار، ولا من ناحية الموضوع الذي يمكن أن يتم الحوار بشأنه، ولا من ناحية التوقيت. فقد طرح القرآن الكريم مسألة وجود الله عز وجل وتوحيده على مائدة الحوار، فنفى بهذا الطرح أن يكون هناك موضوع – يمكن للعقل الإنساني أن يعمل فيه – خارج دائرة الحوار؛ قال تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) [٣]، كما طرح مسألة الحوار حول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهل هو نبي يوحي إليه حقاً أم أنه مجرد إنسان عادى، وهل هو مجنون أو ساحر أو كاهن؛ قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [٤]. وبهذا فقد اعتبر القرآن الكريم الحوار مع الآخر قاعدته الأساسية في الدعوة إلى كل قضاياه وعلى رأسها القضية الكبرى التي بعث من أجلها هذا الموكب الكريم من الأنبياء والمرسلين – قضية الإيمان – ولم ينأ بأية قضية مهما كانت قدسيتها عن دائرة الحوار.

ومن الدروس البليغة في حوارات القرآن الكريم، أنه لا يحق لأحد أن ينأى بنفسه عن حوار الآخرين، فقد تحاور الله عز وجل مع الشيطان، كما تحاور مع الملائكة، كما أن دعوات الرسل – عليهم السلام – جميعاً كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم. واستنكر القرآن الكريم موقف رفض الحوار والإصرار على عدم

---

(١) الأعراف: ٨٥.

(٢) جيدل، عمار. (٢٠٠٣). حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، الأردن: دار الحامد، ص٣٧.

(٣) الطور: ٣٥.

(٤) سبأ: ٤٦.

ممارسته؛ إذ قال تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ)[١].

ويرتبط بالاعتراف بالآخر والتحاور معه، أمر بالغ الأهمية وهو تحقق المعرفة بواقعه وخلفيته الفكرية والتاريخية؛ لأن واقعة هو الذي يبصر بمشكلاته، وخلفيته الفكرية هي التي تدل على كيفية التعامل معه، وتاريخه يبين مدى تمكن هذه الخلفية من سلوكه واستجاباته. وهناك نصوص قرآنية عديدة، تفيد أن الله عز وجل يعرف الأنبياء – عليهم السلام – على الآخر الذي سيحاورونه؛ قال تعالى لموسى وهارون - عليهما السلام – عن فرعون: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [٢]. كما قال الله تعالى لنبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أهل الكتاب: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [٣]، وبهذا كان من الضروري أن ننطلق في الحوار مع الآخر من خلال معرفتنا به، وليس من خلال ما نريده، أو نتمنى أن يكون عليه.

ولعل هذا ما أراده الله تعالى حين أنكر على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تأثره الشديد لعدم إيمان قومه، وهو التأثر الناتج عن عدم معرفته بهم على وجه الحقيقة، ورغبته في ألا تخرج هذه المعرفة على النحو الذي يريده ويتمناه [٤]، قال تعالى: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ* وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ* فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ* أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) [٥].

ومعلوم أن عالمية الإسلام، وعموم رسالته للناس كافة، أسهمت بفاعلية وواقعية في توجيههم جميعاً نحو التوحد على مستوى الكون، وفى تجميع طاقاتهم وتضافر جهودهم لمصلحة الإنسانية، ومن الأدلة على هذا التوجه؛ تكرار الخطاب بيا أيها الناس في النصوص الشرعية، ومن الأمثلة على ذلك؛ قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا

---

(١) فصلت: ٥.

(٢) طه: ٤٣، ٤٤.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) عبد العاطى، محمد عبد اللطيف رجب. (د.ت) "الأسس المنهجية للحوار مع الآخر في القرآن الكريم"، بحث مقدم إلى مؤتمر: "الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي"، ص٦٣.

(٥) الشعراء: ٣-٨.

النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ...)[١]. في إشارة إلى وحدة أهل الأرض جميعاً في أصل نشأتهم ووجودهم. وفى تقرير لعموم رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم-إلى العالمين، قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...) [٢].

إن الآخر الذي اعترف به الإسلام هو المسلم المخالف في الرأي والاجتهاد، أو غير المسلم المخالف في الدين والاعتقاد، وفى الحالين فقد احترم الإسلام هذا الآخر باعتباره الإنسان الذي خلقه الله وكرمه وأسجد له ملائكته، واستخلفه في الأرض وذللها له، وهذا ينطبق على كل إنسان مهما كان عرقه أو دينه أو لسانه. ومن أوضح مظاهر احترام الآخر وكفالة حقه في الاحتفاظ بهويته والدفاع عن شخصيته والتمسك بحضارته:

١. فرغم تحمل نتيجة الاختيار ومسئولية القرار ولو بالميل إلى الكفر؛ فإن القرآن الكريم يحترم إرادة الإنسان؛ قال تعالى: (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ) [٣].

٢. سمى القرآن الكريم الكفر ديناً؛ حتى في السورة التي حملت قرار المفاضلة والتميز بين الإيمان والكفر؛ قال تعالى: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [٤].

٣. نوه القرآن الكريم بربانية الكتب السماوية التي أنزلها الله عز وجل على رسله، وبأنها كتب هداية للناس لإنقاذهم من الضلال:

- قال تعالى في وصف التوراة: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...) [٥].
- وقال تعالى في وصف الإنجيل: (وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ...) [٦].

---

(١) النساء: ١.

(٢) الأعراف: ١٥٨.

(٣) الكهف: ٢٩.

(٤) الكافرون: ٦.

(٥) المائدة: ٤٤.

(٦) المائدة: ٤٦.

٤. أنصف القرآن الكريم الآخر وشهد لمن يمتاز بمكارم الصفات؛ قال تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ...) [١]. كما تجدر الإشارة إلى أنه ليس معني الاعتراف بالآخر واحترامه، التسليم بمبادئه ومواقفه [٢].

المطلب الثاني: جواز الحوار مع الآخر المختلف عقديًا

قد يُظَنُّ من هذا أن الحوار ليس له أي جذور في ثقافتنا، خاصة إذا أضفنا إلى ما تقدم أن الحوار بمفهومه ودلالته المعاصرة كان الغرب هو السابق إلى الدعوة إليه، واستند في أول الأمر إلى الهدف الديني؛ حيث وقع التركيز على الحوار الإسلامي النصراني، وكانت الكنيسة الغربية هي التي وجهت الدعوة إلى هذا الحوار، وذلك في أعقاب نشوء أزمة حضارية جديدة في العالم العربي الإسلامي نتيجة التصادم بين إرادتين: الإرادة العربية الإسلامية والإرادة الغربية، وبلوغ حدة الصراع بين الجانبين مبلغًا قدر الجانب الغربي أنه بات يهدد مصالحه؛ فكانت الدعوة إلى الحوار في المجال الديني في صيغة الحوار الإسلامي النصراني، ثم في المجال السياسي في صيغة الحوار الأوروبي العربي، في مرحلة أولى أعقبتها مرحلة ثانية نشطت فيها الدعوة إلى حوار الشمال والجنوب، وكان الغرب في كل الأحوال وفي جميع الظروف هو صاحب المبادرة إلى هذا الحوار في أشكاله المتعددة وبصيغه المتنوعة، سعيًا منه إلى أهداف رسمها وإلى غايات حددها، يكتنفها جميعًا قدر من الغموض الذي لم تنفع وسيلة في إخفائه؛ لأن المسلمين وجدوا أنفسهم بإزاء دعوة صادرة من جهة تملك شروط القوة الاقتصادية والنفوذ السياسي والقدرة على صنع الحدث والتحكم في مساره [٣].

ومما لا يخفى أن الحوار مطلب إسلامي مع كونه مطلبًا إنسانيًا، وسوف نبين جواز هذا بما يوضح المراد: يقول الله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [٤].

لا ينهاكم الله تعالى أن تبروا الذين لم يقاتلوكم في الدين وهذا يدل على أن

---

(١) آل عمران: ٧٥.

(٢) علي، سعيد إسماعيل. (٢٠٠٨). الحوار منهجا وثقافة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص٤٦.

(٣) التويجري، عبد العزيز. (١٤٢٥هـ). الحوار الحضاري والثقافي: أهدافه ومجالاته، بحث مقدم لمؤتمر مكة الخامس الذي انعقد بالعنوان نفسه، ص٦٥.

(٤) الممتحنة: ٨.

المعنى: لا ينهاكم الله عن بر الذين بينكم وبينهم عهد ودليل ذلك قوله: (وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) أي: وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد(١).

المطلب الثالث: عدم الإكراه في الدين

وضع الإسلام للأمم التي تدخل تحت حمايته حقوقًا تضمن لهم الحرية في ديانتهم، والقيام بشعائرهم وفق الضوابط التي وضعها الإسلام، والمبيَّنة في كتب الأحكام، وأشهرها "أحكام أهل الذمة" لابن القيم -رحمه الله تعالى-.

والقضاء بينهم يكون بالعدل والقسط في حالة النزول على القضاء الإسلامي، لقوله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٢).

فجعل من يدخل في ظلِّ الإسلام باقيًا على شريعته وعاداته عين الحرية والعدالة.

يقول ابن القيم -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣): ((هذا نفي في معنى النهي، أي لا تُكرهوا أحدًا على الدّين.. نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد قد تهودوا وتنصروا قبل الإسلام؛ فلما جاء الإسلام، أسلم الآباء وأرادوا إكراه الأولاد على الدّين، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك. حتى يختاروا الدخول في الإسلام)) (٤).
والصحيح أن الآية على عمومها في حق كل كافر، وهذا ظاهر -على قول من يجوِّز أخذ الجزية من جميع الكفار- فلا يكرهون على الدخول في الدين؛ بل إما أن يدخلوا في الدين، وإما أن يعطوا الجزية كما يقوله أهل العراق وأهل المدينة -وإن

---

(١) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري. (١٩٨٨). معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، ص١٥٨.

(٢) المائدة:٤٢.

(٣) البقرة:٢٥٦.

(٤) الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٢هـ). تفسير الطبري، مرجع سابق، ص٥٤٦.

استثنى هؤلاء بعض عبدة الأوثان- ومن تأمل سيرة النبي ﷺ تبين له أنه لم يكره أحدًا على دينه قط، وأنه إنما قاتل من قاتله، وأما من هادنه فلم يقاتله مادام مقيمًا على هدنته لم ينقض عهده. بل أمره الله تعالى أن يفيَ لهم بعهدهم ما استقاموا له، كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ [(١)]، ولما قدم المدينة صالح اليهود وأقرَّهم على دينهم؛ فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم، فمنَّ على بعضهم وأجلى بعضهم وقتل بعضهم. وكذلك لما هادن قريشًا عشر سنين، لم يبدأهم بقتال حتى بدأوا هم بقتاله ونقضوا عهده؛ فعند ذلك، غزاهم في ديارهم -وكانوا هم يغزونه قبل ذلك- كما قصدوه يوم أُحُدٍ ويوم الخندق، ويوم بدر أيضًا هم جاؤوا لقتاله، ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم.

والمقصود أنه ﷺ لم يكره أحدًا على الدخول في دينه البتة، وإنما دخل الناس في دينه اختيارًا وطوعًا. فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى، وأنه رسول الله حقًا؛ فهؤلاء أهل اليمن كانوا -أو كان أكثرهم- على دين اليهودية كما قال النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)[(٢)]، وذكر الحديث: ثم دخلوا في الإسلام من غير رغبة ولا رهبة؛ وكذلك من أسلم لا رغبة في الدنيا ولا رهبة من السيف، بل أسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة أعدائهم، ومحاربة أهل الأرض لهم من غير سوط ولا نوط، بل تحملوا معاداة أقربائهم، وحرمانهم نفعهم بالمال والبدن، مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات أيديهم؛ فكان أحدهم يعادي أباه وأمه وأهل بيته وعشيرته، ويخرج من الدنيا رغبة في الإسلام، لا لرياسة ولا مال، بل ينخلع من الرياسة والمال، ويتحمل أذى الكفار من ضربهم وشتمهم وصنوف أذاهم، ولا يصرفه ذلك عن دينه[(٣)].

ومن هنا جعل الإسلام أسباب الدخول فيه اختيارية دون إكراه أو إجبار، وجعل الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة أعلى درجات الإقبال على دين الله تعالى.

---

(١) التوبة: ٧.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، ج٢، ١٣٩٥.

(٣) ابن قيم الجوزية. (١٤٠٧هـ). هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: أحمد حجازي، المكتبة القيمة، مصر، ط٤، ص٣٧، ٣٨.

وجعل الإسلام المناظرة مع المخالف خير وسيلة إقناع لفهم الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(١).

وجعل ترك سبِّ معبودات الكفار وسيلة لحماية حقوق المخالف، وحتى لا يوقع في حق المسلمين كذلك. يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢).

إذن لا يصح الإيمان بالإكراه، وطالما كان المخالف حراً في دخول الإسلام فعليه الالتزام بشرائعه وقواعده، وألا يكون عضواً شاذاً في المجتمع، بل عليه الحفاظ على حق المسلمين، والعمل على سلامة المجتمع والسعي لوحدة صفه، والمشاركة النافعة لنصرة المسلمين قولاً وفعلاً.

وعند التأمل في مكاسب الحوار الحضاري نجد أن أعظمها تحقيق الدعوة إلى الإسلام دون إكراه، فالمحاور المسلم الذي يسلك طرق الحوار الحضاري الصحيح، ويشارك في فعالياته؛ ينقل صورة الإسلام، ويدعو إليه، ويفتح بابه مشرعاً لمن أراد ولوجه والدخول إليه، وهذا من أعظم المكاسب وأكبرها (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(٣).

جاء في كتاب النبي ﷺ لأهل نجران في عقد الصلح معهم: (ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم، وأرضهم وملتهم، وغايبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيَعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته) (٤).

---

(١) العنكبوت: ٤٦.

(٢) الأنعام: ١٠٨.

(٣) فصلت: ٤٣.

(٤) أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدى السجستانى. (د.ت). سنن أبى داود، ج٤، بيروت، المكتبة العصرية، ج٣، ص٣٠٤١.

فهذا الاتفاق يشمل كل الرعايا النصارى كهنة ورهباناً وراهبات، وهو يضمن لهم الحماية والأمن، ويضمن الحماية لكنائسهم ومساكنهم وأماكنهم [١].

وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ، كتب إلى أهل إيلياء (بيت المقدس): (هذا ما أعطى عبد الله عمر – أمير المؤمنين – أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم) [٢].

وهذا العهد يدل على حسن معاملة المسلمين لأهل الديانات الأخرى، وعدم إكراههم على دين الإسلام، بل لقد تكاثرت الأحداث والعهود والقصص التي دلت على مر تاريخ المسلمين أنهم تركوا البيع والكنائس في الشام وغيرها لم تهدم، وسطروا أروع الأمثلة في التسامح والعفو، وعدم الإكراه في الدين.

أما في الغرب فإن غالب دساتير دولهم تنص على مبدأ الحرية، وتقوم على أساس العلمنة، فكل فرد له أن يعتقد ما يريده، ويتعبد بالطريقة التي تحلو له.

ومن الإنصاف أن نقول: لقد استفاد المسلمون من تلك الحرية في بلاد الغرب، وفتح أمام الجاليات الإسلامية أو الأقليات المسلمة في بلاد الغرب الطريق أمام العمل لهذا الدين والدعوة إليه ونشر مبادئه حتى صاروا مصدر خير وبركة في انتشار الإسلام في أرجاء أوربا وأمريكا... بل لقد دعت المنظمات الخيرية وهيئات العمل الإسلامي في العالم العربي إلى استغلال وجود هؤلاء لنشر دين الإسلام، وأقيمت لذلك المؤتمرات، وأنشئت المراكز الإسلامية[٣].

---

(١) الواعي، توفيق. (١٤١٠هـ). الإسلام في العقل العالمي، دار الوفاء، مصر، ص١٠٦.

(٢) انظر: الطبري، محمد بن جرير. (د.ت). تاريخ الأمم والملوك، دار سويدان، بيروت، ص٦٠٩، و العمري، عبد العزيز. (١٤١٨هـ). الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيليا، الرياض، ص١٣٩، و البلاذري، أبو الحسن أحمد. (١٣٩٨هـ). فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٤٥.

(٣) انظر: لاري أي، تحرير: أيفون يزبك حداد. (١٩٩٤). الدعوة في الغرب، ضمن: المسلمون في أمريكا، بواسطة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مصر، ص٧٨، و توصيات المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي: الأقليات المسلمة في العالم، طبع دار الندوة، الرياض (١٤٢٠هـ)، ٤٥٦.

المطلب الرابع: تأكيد الحق في الحرية الاجتماعية

الحرية الاجتماعية تشمل كل فعل اجتماعي لا يتعارض مع الشريعة، وهي باب المباحات الكبير، وهو التخيير بين الفعل والترك، والقاعدة الأصولية المعروفة تقول: (الأصل في الأشياء الإباحة)، وهي تعني أن الإنسان حر مسموح له بالتصرف في الحياة كيفما يشاء ما لم يرتكب محظوراً شرعياً، ومن المعلوم أن المسلم يثاب على المباح إذا اقترن بنية صالحة، كما قال سبحانه: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا) [١]، فقد أخبر سبحانه (أنه خلق جميع ما في الأرض للناس، مضافاً إليهم باللام، واللام حرف إضافة، وهي توجب اختصاص المضاف بالمضاف إليه، واستحقاقه إياه من الوجه الذي يصلح له، فيجب إذاً أن يكون الناس مملكين ممكنين لجميع ما في الأرض فضلاً من الله ونعمة، وخص من ذلك بعض الأشياء وهي الخبائث، لما فيها من الإفساد لهم في معاشهم أو معادهم، فيبقى الباقي مباحاً بموجب الآية) [٢].

والأصل في الحرية الاجتماعية قوله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [٣]، فكل فعل اجتماعي لا يتعارض مع الشريعة فهو حق من حقوق الإنسان، ويدخل في ذلك السلوك الاجتماعي في طبيعة حفلات الأعراس واللباس والأكل والشرب وطرق البناء للمنازل والأسواق وغيرها [٤].

لكن الأمر الأهم في الحرية الاجتماعية أنها في الإسلام تقوم على حفظ كيان المجتمع، وتقديم مصلحة الفرد، وتؤصل لمبدأ الأخلاق والقيم، والمحافظة على وحدة الأسرة الصغيرة وبنائها، والمجتمع الكبير الذي يعيش فيه الإنسان، خلافاً للحرية المزعومة في الفلسفات الوضعية، التي أعطت الفرد مساحة كبيرة يتحرك فيها دون قيود ولا ضوابط، ودون احترام للآخرين أو المجتمع، فهو بداعي الحرية الاجتماعية يمارس كل أمر يراه مناسباً في بيته أمام الناس، ولا يمتنع عن الوقوع في مساوئ الأخلاق بدعوى الحرية الاجتماعية، وهذا هو المزلق الخطير

---

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٤١٦هـ). مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن القاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ص٥٣٥.

(٣) المائدة: ٢.

(٤) الترمانيني، عبد السلام. (١٩٦٨). حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص٦٥.

الذي جعل أغلب بلدان الغرب تعيش تفككاً هائلاً ومستوى متدنياً من الأخلاق الاجتماعية بسبب فشو ما يسمونه (الحرية الاجتماعية).

ثم إن المسئولية الاجتماعية التي تحدد ضوابط الحرية الاجتماعية ليست للأفراد فحسب، بل هي لوسائل الإعلام التي يجب عليها أن تضبط مفهوم الحرية الاجتماعية، فضلاً عن الأنظمة والقوانين التي تصدرها الدول لحفظ الأخلاق والممارسات العامة[١].

المطلب الخامس: تفعيل حوار التقارب والتعايش

يطلق البعض هذا الاسم على حوار معين حقيقته (وحدة الأديان)، وهو الحوار الذي يهدف إلى إزالة الفروق والاختلافات العقدية والشعائرية بين المتحاورين، وتمييع خصائص الدين الإسلامي، وتجاوزها تجاه وحدة تلفيقية تدعو إلى التقارب بين الأديان، وصهرها في دين عالمي جديد قائم على الجمع بين المتناقضات: الكفر والإيمان، التوحيد والوثنية، فتلك دعوة دسيسة لا يمكن لمسلم قبولها بأي حال، وهذا النوع من الحوار كفر، وصد عن سبيل الله، وهو من المداهنة المحرمة: (وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) [٢].

وهذه الدعوة وإن كانت قديمة إلا أنها تتجدد، وترعاها مؤسسات من مختلف الملل والنحل، ولعل من أبرز من ينادي بهذه الدعوة: الحركة الماسونية المعاصرة، يقول محمد رشاد فياض رئيس محفل الشرق الأعظم الماسوني: (الميمات الثلاث في الموسوية و(المسيحية) والمحمدية يجتمعون في ميم واحدة هي ميم الماسونية، لأن الماسونية عقيدة العقائد...) [٣].

فعلى هذا نقول إن الحوار الذي يهدف إلى توحيد الأديان الباطلة مع دين الله الحق، أو حتى التقريب المزعوم، هذا الحوار مرفوض وباطل، ولو سمي بغير

---

(١) الفرج، عبد الرحمن بن مبارك. (١٤١٨هـ). بناء المجتمع الإسلامي، الرياض، ص٢٢، و عبد الواحد، مصطفى. (١٤٠٤هـ). المجتمع الإسلامي، دار البيان العربي. جدة، ط٢، ص٩٨.

(٢) هود: ١١٣.

(٣) القاضي، أحمد. (١٤٢٠هـ). دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، دار ابن الجوزي، الرياض، ص٣٦٠.

اسمه، أو عقدت له مؤتمرات براقة، لكن الحقيقة واحدة، وهي حقيقة التلفيق والعبث بدين الله تعالى.

أما الدعوة الغربية الملفقة لهذه الفكرة، فهي من أساسها انطلقت من مبدأ صراع الحضارات الذي تبناه هينتجتون، ولكن قراءة التقارب عندهم مختلفة، فهؤلاء تحكمهم قيم من نوع خاص فيها نظرة دونية إلى الآخر، وفيها رغبة للتسلط، وفيها اجتهادات تقرأ فترى رائحة العنصرية بجذورها المختلفة، وترى رائحة غطرسة القوة، ولدينا العديد من النماذج الصارخة على هؤلاء المفكرين الغربيين البعيدين كل البعد عن الموضوعية، والمفعمين بالفكر التعصبي تجاه الآخر، وأشهرهم على الإطلاق الأمريكي هنتنجتون[١].

وقد قام هذا المفكر من خلال أطروحته السابقة باعتبار الإسلام ديناً دموياً، وانتقى من الدلائل الظالمة ما قوى أطروحته، وجعلها تسير في الغرب على أنها لا تقبل النقاش.

إننا أمام انتقائية واضحة تنطلق من وقائع وأدلة جزئية متفرقة يتم تعميمها بشكل تعسفي بهدف الخروج بحقيقة شاملة عامة، مفادها أننا على ضوء هذه الوقائع سندخل عصر الصدامات الحضارية، ولذلك يشخص رؤية لطبيعة العلاقات بين الغرب والعالم في مرحلة ما بعد الحرب الباردة[٢].

وعندما وضع هنتنجتون تقارباً بين الغرب والإسلام وضعه في ثنائية غير متكافئة على المستوى النظري، فالإسلام قبل كل شيء عقيدة ودين، أما الغرب فهو إطار شامل يجمع بين الدين والثقافة والجغرافيا والأيديولوجيا والاقتصاد.

ولعل أكبر خلل نظري تعاني منه أفكار هنتنجتون ونظرياته يتعلق بمعايير تصنيفه للحضارات وطبيعة هذا التصنيف حيث يتسم تصنيفه بالخلط الشديد بين مفاهيم متميزة كالحضارة والدين والانتماء الجغرافي أو الإثني، وهو لا يلتزم مقياساً واحداً في التصنيف، فبالنسبة إلى الحضارة الغربية يصنفها نسبة إلى الموقع الجغرافي، والحضارة الكونفوشيوسية والحضارة الإسلامية نسبة إلى الدين، والحضارة الهندية واليابانية نسبة إلى معيار إقليمي قطري، والحضارة السلافية

---

(١) الدجاني، أحمد صدقي. (٢٠٠٤). حوار الحضارات بين الواقع والطموح، مراجعة وتحقيق: خالد الكركي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص٤٠.

(٢) مجلة الشرق الأوسط ٢١/ ١/ ١٩٩٥م، و الناصر، إبراهيم. (١٤٢٩هـ). الأطروحات الغربية في توصيف علاقة الغرب بالإسلام، ضمن التقرير الإستراتيجي السنوي، مجلة البيان، الرياض، ص٣.

الأرثوذكسية نسبة إلى الدين والعرق معاً، أما الحضارة الإفريقية والأمريكية اللاتينية فنسبة إلى معيار جغرافي قاري.

صحيح أن فكرة التقارب التي يراها بعض المحليين لنظريته ليست ما نؤمن بها، ولكن مع ذلك فإن نظرة هنتنجتون إلى الإسلام بهذا الرفض هو ما لا يمكن قبوله إطلاقاً، فهو اتهام للإسلام بالدموية ورفض الآخر والقيام على الصراع.

لكن القول بالتقارب لرفض الصدام أيضاً مرفوض فالصراع بين الإسلام والكفر قائم، فالإسلام بتوحيده وعبوديته لله والإيمان بأركان الإيمان الستة وما ينبثق عن ذلك من شريعة ونظام حياة، لا بد أن يصطدم بالغرب الصليبي الكافر العابد لغير الله، والخاضع لشريعة الطاغوت.

والحضارة والثقافة الإسلامية بأسسها وثوابتها تصطدم بحضارة الغرب بأسسها وثوابتها... وهذا الصراع والصدام هو حكم رباني، جاءت به الأنبياء جميعاً ونصوص الكتاب والسنة قائمة على هذا الفرقان بين الحق والباطل. .. ثم إن الإيحاء بأن الصراع والصدام إنما هو مع حضارة الغرب في جانبها المادي والتقني، والزعم بأن الإسلام يعادي الحضارة لأنها تقدم وحضارة، هذا كذب وفرية على الإسلام... كما أن استغلال هذه النظرية لشن حملة على الإسلام والمسلمين، وتصويرهم على أنهم إرهابيون معادون للحضارة، هو أمر ظاهر من قبل الأعداء. .. وقد استغلت هذه النظرية، واستخدمت لتأجيج الصراع، فحالت دون نوع من المقاربة للعالم الإسلامي مع الغرب(١).

ويقصد بالتعامل والتعايش البحث عن سبل التعايش والبحث عن القواسم الحياتية المشتركة، وهذا النوع من الحوار بعيد عن أصول الدين والمعتقدات، فلا يمس بها ولا يزعزعها، بل هو تعايش بشري، وتعامل حياتي دون التنازل أو التهاون بالأصول والمعتقدات، وقد ظهر هذا اللون من الحوار في المدينة المنورة حيث عقد رسول الله ﷺ عقوداً مع اليهود، وأبرم صلحاً مع كفار قريش، فيركز هذا النوع على النقاط المشتركة التي يتفق عليها المتحاورون، فيهدفون إلى تعميقها، والتكاتف في سبيلها، وغالباً ما تصطبغ بالصبغة الأخلاقية أو المصلحية، كالحوار حول القضايا الدولية العامة، والتعايش بين الأمم ومعالجة قضايا الفقر، ودعم المشاريع الإنمائية.

وعلى هذا فقضية عيش بني الإنسان، وتعامل بعضهم مع بعض سنة كونية، فإذا ما أطلق التعايش بين الأمم على اختلاف أديانهم مقصوداً به هذا المعنى فهو

(١) المحمود، عبد الرحمن. (١٤٢٨هـ). مجلة البيان عدد شوال ١٤٢٩هـ، تاريخ ٧/ ١١/ ١٤٢٨هـ.

حق، ومنذ عهد الرسول ﷺ لم تزل أكثر المأكولات والمصنوعات والملبوسات والآلات الحربية ونحوها تتبادل بين المسلمين وغيرهم، وهذا ظاهر معلوم.

إن معنى التعايش هو قبول التصالح الدنيوي والوجود والحوار في الاتفاق على جملة من الأخلاق الإنسانية التي تتيح فرصة لتبادل الحوار والإقناع، والمؤمن مصلح آمر بالمعروف والخير، ناهٍ عن المنكر والشر، حريص قدر المستطاع على دفع الباطل بالحق، والجهل بالعلم. .. فالتعايش نوع من التعاون والتعارف في المشترك الحضاري والإنساني، وتبادل الخبرات التي تعين الإنسان على عمارة الأرض، ونشر قيم الخير التي يتفق الناس على الاعتراف بها، وذلك كله نوع من فتح المجال لنشر الإسلام ودعوته، وذلك كله لا يعني الدعوة لأفكار المختلف أو شرعيته دينياً، بل القبول بالتعايش الدنيوي لفتح الحوار دينياً ودنيوياً[١].

إن المقصود بحوار التعامل والتعايش أن يعيش المسلم مع غيره في هذه الأرض على أسس الالتزام بدينه، وثوابت عقيدته، لكن مع تعامل وتعايش رسمه هذا الدين، فهو يأخذ ما له، ويعطي ما عليه، وفق أخلاق عالية عظيمة يرسم بها منهج دينه، ويدعو من خلالها إلى هذا الدين ليكون مثالاً يحتذى به في الأخلاق والتعامل.

إن النموذج العظيم للتعايش هو أنموذج المدينة المنورة، عاصمة الإسلام، ومنطلق دعوة آخر الأنبياء ﷺ، ففي مرحلتها الأخيرة، شاء الله تعالى أن يعيش في المدينة مع الصحابة الكبار والسابقين الأولين والأنصار، نفر من اليهود والمنافقين... بل سافر جمع من هؤلاء الصحابة للتجارة عن طريق المهاجرين للحبشة في تعامل وتعايش عظيم كان له أثره على القارة حتى وقتنا الحاضر.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [٢]. أي ليعرف بعضكم بعضاً في النسب وقرب القرابة وليس لفضيلة لكم في ذلك، فلا يترفع أحد على أحد بسبب أصل الخلق والنسب فإن أكرمكم عند الله أتقاكم[٣]، وها هم المسلمون في بلاد الغرب يتعاملون مع أهل تلك البلاد ويعيشون معهم دون أن يتنازلوا عن دينهم أو يسقطوا واجباتهم الدينية، ولهذا نلحظ انزعاجاً من هجرة العرب والمسلمين إلى الغرب،

---

(١) العودة، سلمان. (١٤٢٨هـ). التعايش الحضاري، موقع الإسلام اليوم، وهو من ضمن الأسئلة التي أجاب عنها الدكتور مقدمة من الباحث بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٤٢٨هـ. www.islamtoday.net.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٢هـ). تفسير الطبري، مرع سابق، ج٢١، ص٣٨٦.

وهاهي الأحزاب اليمينية في أوربا تريد طرد العرب والمسلمين، وهو أمر كان يمكن أن يحدث لو نجح اليمين المتطرف في فرنسا في الانتخابات الأخيرة، وقس على ذلك ما حدث في ألمانيا، وفي المجمل هناك تصورات أن الحضارة الإسلامية تمثل تهديداً للثقافة العالمية ونظام المعيشة.

من هنا انبرى الكثيرون من مفكري الغرب إلى نبذ فكرة التعامل والتعايش مع الشعوب الإسلامية التي تمثل تهديداً للغرب، بل يذهب البعض لأبعد من هذا حيث وضع هنتنجتون الحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية في تحالف واحد مضاد للغرب، وليس هذا منطقياً فما يفصل بين الحضارة الإسلامية وثقافات الشرق الأقصى أعمق وأوسع بكثير مما يفصل بين الحضارة الغربية والإسلامية، ولا بد من الإشارة هنا إلى وجود قلق متصاعد لدى الحكومة الصينية من تصاعد الحركات والتيارات الإسلامية في إقليم سنكيانغ (Xinjiang) (تركمنستان الشرقية) ذي الأغلبية المسلمة والإرث التركي في آسيا الوسطى، وتعرف المنطقة اضطرابات دموية عنيفة بسبب التهميش والاضطهاد الثقافي لمسلمي تركمنستان، وهذا دليل آخر على عدم واقعية الرابطة الكونفوشيوسية [١].

والخلاصة العامة من كل هذا هي أنه لا يوجد تهديد حقيقي للإسلام، أو العالم الإسلامي ضد الغرب الذي عليه التوقف عن شيطنة الإسلام، ووصفه بالإرهاب، فلا يوجد في العالم شعب أو دين عنيف بطبيعته، فالإرهاب لا وطن له، ولا دين له، لا ينتمي إلى ثقافة أو عقيدة دون غيرها.

(١) زكي، نبيل. (١٩٩٧). الشراكة الإستراتيجية الصينية –الروسية، جريدة الشرق الأوسط في ٢١/ ٤/ ١٩٩٧م.

الخاتمة: وشملت ما يلي

أولاً: ملخص نتائج الدراسة:

هدفت الدراسة تناول التعايش السلمي مع المختلف عقدياً دراسة تحليلية في ضوء الأصول الإسلامية، ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام المنهج الاستنباطي، وتكونت الدراسة من مقدمة وأربعة مباحث وعدة مطالب على النحو الآتي: المبحث الأول: التعريف بالتعايش السلمي، وتكون من أربعة مطالب، وجاء المبحث الثاني عن: التعايش السلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتكون من ثلاثة مطالب، وتناول المبحث الثالث: أسس التعايش السلمي وركائزه وموجهاته في الإسلام، وتكون من ثلاثة مطالب، وعرض المبحث الرابع: متطلبات التعايش السلمي مع الآخر في الإسلام، وتكون من خمسة مطالب، وكان من أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ما يلي:

- ترى النظرة الإسلامية للعالم: أن الأصل هو تنوع الإنسانية في الألسنة واللغات، ومن ثم في القوميات، وكذلك في الأجناس والألوان.
- ينبغي لنجاح متطلب التعايش مع الآخر ضرورة التفاعل الثقافي بين الحضارات، فأي حضارة إنسانية لا يمكنها مواصلة تقدمها إلا إذا تعايشت مع غيرها، فالحضارة هي التي تربي أبناءها على ثقافة التماسك وقبول الآخر، والمجادلة بالحسنى ووسائل الإقناع، فلا حضارة مع التعصب للرأي ورفض التعايش مع الآخر.
- يعد التعايش السلمي أحد أهم الفضائل الإنسانية التي ترتقي بالنفس البشرية إلى مرتبة سامية تتحلى بالعفو واحترام الآخر.
- تجدر الإشارة إلى أن التعايش السلمي ينطلق منها لغاية كبرى وأهداف سامية يسعى إليها، ومنها على سبيل المثال: وحدانية الحق وأنه ثابت ومطلق، كسب المخالف ودعوته بالكلمة الطيبة والمعاملة بالحسنى، وسطية هذه الأمة، إحياء روح الحوار، وإقامة الحجة وإبلاغ دين الله، التعايش بين الأديان السماوية من خلال إرساء الثقة والاحترام المتبادل.
- اتفق العلماء على أن النفس الواحدة هي آدم عليه السلام، وأن (زوجها) المقصود حواء عليها السلام، فمن هنا يتقرر أن أصل الإنسان واحد، وأن البشر من أب وأم هما آدم وحواء، فالأصل البشري واحد، وهذا يعد من أبرز منطلقات التعايش السلمي مع الآخر.

- وردت العديد من المعاني التي تحمل في طياتها معاني التعايش السلمي مثل: السماحة في المعاملات بين الناس، الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، الحلم وكظم الغيظ وسعة الصدر، العفو والصفح.
- يجد المتتبع لسيرة النبي – صلي الله عليه وسلم – أنه ضرب أروع الأمثلة للتعايش السلمي في المعاملة عندما ألغى العنصرية وأزال الحواجز النفسية والعصبيات القبلية بحيث يكون الرباط بين المسلمين هو رباط الأخوة، إذ لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى.
- وتشتمل السنة النبوية المطهرة على العديد من صور التعايش السلمي والتي تدل على التأصيل الإسلامي للتعايش السلمي كقيمة أمر بها الإسلام، ويمكن عرض بعضاً من المواقف التي تجلت فيها سماحة النبي ﷺ وذلك فيما يلي: السماحة في البيع والشراء، السماحة في التجاوز عن أخطاء الآخرين، الرفق واللين في معاملة الرسول ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم.
- تتعدد أسس التعايش السلمي في الإسلام ومن أبرزها ما يلي: أن الإسلام الذي أتى به جميع الأنبياء عليهم السلام، وحده هو الدين الحق، عدم إكراه غير المسلمين لاعتناق الإسلام، العدل والإحسان فالمسلم مأمور من ربه أن يعدل مع الناس جميعاً، عدم أذية غير المسلمين بقول أو فعل، عدم السماح للباطل بالظهور.
- للتعايش السلمي ضوابط من أبرزها ما يلي: ينبغي ألا يفهم التعايش السلمي على أنه موقف الضعيف، أو ينمّ عن ضعف، ينبغي أن يفهم التعايش السلمي على أنه نوع من الانفلات واللامسئولية، وإنما المقصود التعايش الذي لا يُلغي الفوارق، والاختلافات، ولا يتجاوز كذلك الخصوصيات، ألا يقصد بالتعايش السلمي التساهل في الالتزام بتعاليم الدين، وقلة التمسك به.
- تتنوع متطلبات التعايش السلمي مع الآخر في الإسلام، ومن أبرزها ما يلي: الاعتراف بالآخر واحترامه، جواز الحوار مع الآخر المختلف عقدياً، عدم الإكراه في الدين، تأكيد الحق في الحرية الاجتماعية، تفعيل حوار التقارب والتعايش.

ثانياً: توصيات الدراسة:

١. محاولة التوعية بمتطلبات التعايش السلمي مع الآخر المختلف عقدياً من خلال البرامج الإعلامية والمؤسسات الدعوية.

٢. نشر الصورة الحقيقية عن موقف الإسلام من الآخر والتعايش السلمي معه باستخدام وسائل الإعلام والمؤسسات التربوية والندوات والمؤتمرات المحلية والدولية.

٣. تحصين أبناء المجتمع خاصة الشباب من الحملات المشبوهة التي تستهدف تشويه فكرهم وتدعو للتعصب ونبذ الآخر.

٤. تخصيص جهة مختصة للرد على الشبهات التي تثار حول موقف الإسلام من الآخر وتزكي روح التعصب والعنف في التعامل معه.

٥. تفعيل دور المؤسسات التعليمية في التوعية الفكرية ونشر ثقافة التعايش السلمي مع الآخر من خلال المناهج الدراسية والأنشطة الطلابية.

ثالثاً: مقترحات الدراسة:

١. التسامح في الإسلام دراسة تحليلية في ضوء الأصول الإسلامية.

٢. السلام الاجتماعي في العقيدة الإسلامية ومتطلبات تفعيله.

٣. قيمة العفو في العقيدة الإسلامية دراسة تحليلية.

٤. قبول الآخر دراسة عقدية في ضوء الأصول الإسلامية.

٥. قيمة الحلم دراسة تحليلية في ضوء الأصول الإسلامية.

المراجع:

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (١٤١٦هـ). مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن القاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة.
ابن حبان. (١٩٩٣). صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق شعيب الأرناؤوط.
ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد ابن حنبل الشيباني. (١٤١٩هـ). المسند، القاهرة، المكتبة العلمية.
ابن قيم الجوزية. (١٤٠٧هـ). هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: أحمد حجازي، المكتبة القيمة، مصر، ط٤.
ابن قيم الجوزية. (د.ت). مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت.
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (١٤١٨هـ). البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، مصر.
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
أبو خضير، منصور محمد أحمد. (٢٠٠٧). التسامح وآثاره التربوية في الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن.
أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدى السجستانى. (د.ت). سنن أبى داود، ج٤، بيروت، المكتبة العصرية.
البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٩٩٧). سنن البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير.
البقعاوي، صالح بن سليمان. (١٤٢١هـ). مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية، الدمام، دار ابن الجوزي.
البلاذري، أبو الحسن أحمد. (١٣٩٨هـ). فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.
البيهقي، أحمد بن الحسين. (١٤٠٥هـ).السنن الكبرى، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية.
الترمانيني، عبد السلام. (١٩٦٨). حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية، دار الكتاب الجديد، بيروت.
توصيات المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي: الأقليات المسلمة في العالم، طبع دار الندوة، الرياض (١٤٢٠هـ).

التويجري، عبد العزيز. (١٤٢٥هـ). الحوار الحضاري والثقافي: أهدافه ومجالاته، بحث مقدم لمؤتمر مكة الخامس الذي انعقد بالعنوان نفسه.
الثعلبي، أحمد بن محمد. (٢٠٠٢). الكشف والبيان"تفسير الثعلبي"، المجلد ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
جيدل، عمار. (٢٠٠٣). حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، الأردن: دار الحامد.
الحازمي، منال بنت جابر بن ساعد. (٢٠١٠). التوجيهات التربوية للتسامح من خلال كتاب (السيرة النبوية) لابن هشام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإدارية بمكة، جامعة أم القرى.
حسين، الحسين. (٢٠١٥). "تدعيم ثقافة التسامح لدى الشباب الجامعي: تصور تربوي مقترح وفق المنظور الإسلامي"، المجلة التربوية، الجزء (٤٢)، كلية التربية، سوهاج، مصر.
الحسين، عبد اللطيف بن إبراهيم. (١٤١٩هـ). تسامح الغرب مع المسلمين، دار ابن الجوزي، الدمام.
الخطيب، عمر. (١٤٠٣هـ). نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.
الخمليش، أحمد. (٢٠٠٢). مستقبل العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، " حقيقة الإسلام في عالم متغير، المؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، في الفترة من ٨ – ١١ ربيع الأول ١٤٢٣هـ، ٢٠ –٢٣ مايو ٢٠٠٢، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
الدجاني، أحمد صدقي. (٢٠٠٤). حوار الحضارات بين الواقع والطموح، مراجعة وتحقيق: خالد الكركي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
الدهمش، خالد بن محمد بن عبد الله. (٢٠١٦). تصور مقترح لتنمية قيمة التسامح لدى طلاب المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية، مجلة البحث العلمي في التربية، مصر المجلد (٣) العدد (١٧) ص ص ٣٦٥ – ٣٧٧.
الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (٢٠٠٠). التفسير الكبير، ج ٢٧، بيروت، دار الكتب العلمية.
الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري. (١٩٨٨). معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان.
زكي، علاء الدين. (٢٠١٦). "التسامح الديني في الحضارة الإسلامية- الأديب أبو إسحاق الصابي (٣٤٨هـ) أنموذجاً، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر العلمي

الدولي الثاني"حوار الحضارات والثقافات"، ٢٦ -٢٨ نيسان، جامعة الطفيلة التقنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها.
زكي، نبيل. (١٩٩٧). الشراكة الإستراتيجية الصينية –الروسية، جريدة الشرق الأوسط في ٢١/ ٤/ ١٩٩٧م.
الزيد، عبد الكريم زيد. (٢٠٠٦). التسامح في الإسلام، الرياض، دار إمام الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢.
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (٢٠٠٤). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القاهرة، مكتبة الصفا.
السنيدي، فهد. (١٤٢٦هـ). الفرق المعاصرة المنتسبة للإسلام في أمريكا وأثرها العقدي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، الرياض.
السيقلي، محمد صالح. (٢٠١٢). مدى تضمن محتوى كتب التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية لقيمة التسامح وتصور مقترح لإثرائها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة.
الشنقيطي، محمد الأمين. (١٩٩٥). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٣، بيروت، دار الفكر.
صبري، عكرمة سعيد. (٢٠٠٣). النظرة الإسلامية إلى الآخر، " حقيقة الإسلام في عالم متغير ". المؤتمر الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، في الفترة من ٨ – ١١ ربيع الأول ١٤٢٣هـ، ٢٠-٢٣ مايو ٢٠٠٢، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
صعب، حسن. (١٤١١هـ). الحوار الإسلامي المسيحي، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، بيروت.
ضيف، شوقي. (١٩٩٩). عالمية الإسلام، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة.
الطبراني، سليمان بن أحمد. (١٩٨٤). مسند الشاميين، ج٣، بيروت مؤسسة الرسالة.
الطبري، محمد بن جرير. (د.ت). تاريخ الأمم والملوك، دار سويدان، بيروت.
الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٢هـ). تفسير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ١٤٢٢هـ.
عبد السلام، جعفر. (٢٠٠٢). نحو بلورة معاصرة للعلاقة بين الإسلام والآخر، " الإسلام وحوار الحضارات " جـ٢،سلسلة فكر المواجهة، القاهرة، رابطة الجامعات الإسلامية.

عبد العاطى، محمد عبد اللطيف رجب. (د.ت) "الأسس المنهجية للحوار مع الآخر في القرآن الكريم"، بحث مقدم إلى مؤتمر: "الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي".
عبد الواحد، مصطفى. (١٤٠٤هـ). المجتمع الإسلامي، دار البيان العربي. جدة، ط٢.
عزت، هبة رؤوف. (٢٠٠٥). التسامح بوصفه أداة للإدارة الاجتماعية، مجلة المعرفة، العدد ١٢١، الرياض، السعودية.
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (١٩٨٦). فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١١، القاهرة، دار الريان للتراث.
علي، سعيد إسماعيل. (٢٠٠٨). الحوار منهجا وثقافة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
عمارة، محمد. (١٩٩٧). الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، القاهرة، دار الرشاد.
عمارة، محمد. (٢٠٠١). الإسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟، القاهرة، مكتبة الشروق.
العمري، عبد العزيز. (١٤١٨هـ). الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيليا، الرياض.
العودة، سلمان. (١٤٢٨هـ). التعايش الحضاري، موقع الإسلام اليوم، وهو من ضمن الأسئلة التي أجاب عنها الدكتور مقدمة من الباحث بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٤٢٨هـ. www.islamtoday.net.
العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. (د.ت). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج١١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
الغامدي، عبد الرحمن بن أحمد بن مسفر. (٢٠١٤). حقيقة التسامح الديني في الفكر الغربي وموقف الإسلام منه. ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة.
الفايز، وفاء صالح. (٢٠١٧). التسامح و أثره في ترسيخ الأمن الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم. مجلة تدبر، السعودية، 1(2)، 185-235.
فخري، إيمان. (٢٠١٤). الديمقراطية التوافقية كإطار لاستيعاب الأقليات، الأهرام الديمقراطية، (٥٤).
الفرج، عبد الرحمن بن مبارك. (١٤١٨هـ). بناء المجتمع الإسلامي، الرياض.
فودة، حلمي وصالح، عبد الرحمن.(١٩٩١). المرشد في كتابة الأبحاث، ط٦، جدة: دار الشروق، ص٤٣.

القاضي، أحمد. (١٤٢٠هـ). دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، دار ابن الجوزي، الرياض.
القحطاني، يوسف محمد. (٢٠١٠). التعددية العقائدية وموقف الإسلام منها، دار التدمرية.
القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله. (د.ت). سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٢، بيروت، دار الفكر.
كهوس، محمد رشيد. (٢٠١٨). قيمة التسامح في السيرة النبوية. مجلة قضايا مقاصدية – المغرب، ع(4)، 36-9.
اللاذقاني، محيي الدين. (٢٠٠٤). التسامح والتعصب في فكر رواد عصر النهضة المجهضة، جريدة العرب الدولية، الشرق الأوسط، العدد (٩٢٠١)، فبراير.
لاري أي، تحرير: أيفون يزبك حداد. (١٩٩٤). الدعوة في الغرب، ضمن: المسلمون في أمريكا، بواسطة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مصر.
المباركفوري، صفي الرحمن. (٢٠٠٧). الرحيق المختوم" بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام"، الطبعة التاسعة عشر، القاهرة، دار الوفاء.
مجلة الشرق الأوسط ٢١/ ١/ ١٩٩٥م.
المحمود، عبد الرحمن. (١٤٢٨هـ). مجلة البيان عدد شوال ١٤٢٩هـ، تاريخ ٧/ ١١/ ١٤٢٨هـ.
المخزنجي، السيد أحمد. (١٩٨٧). العدل والتسامح الإسلامي، دعوة الحق سلسلة شهرية، عدد ٦٧(مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي.
مرزوق، فاروق جعفر.(٢٠١٦). "استدماج ثقافة قبول الآخر في برامج إعداد الطالب/ المعلم بجامعة القاهرة: تصور مقترح"، مجلة العلوم التربوية، الجزء(١)، العدد(١) جامعة القاهرة، كلية الدراسات العليا. ص ص ٢٩-٦٨.
المزين، محمد حسن محمد. (٢٠٠٩). دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدى طلبتها من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة.
مسلم، سلم بن الحجاج. (د.ت). صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث، د.ت.
موكيوس، أنتاناس. (٢٠٠٢). التعايش كتوافق بين القانون والأخلاق والثقافة، مجلة مستقبليات، عدد ١٢١، جينيف، مكتب التربية الدولي، ترجمة محمد البهنسي.
الميلاد، زكي. (٢٠٠٧). الإسلام والاصطلاح الثقافي، المملكة العربية السعودية، القطيف، دار أطياف للنشر والتوزيع.

الناصر، إبراهيم. (١٤٢٩هـ). الأطروحات الغربية في توصيف علاقة الغرب بالإسلام، ضمن التقرير الإستراتيجي السنوي، مجلة البيان، الرياض.
النجار، يحي محمود وأبو غالي، عطاف محمود. (٢٠١٧). دور التعليم العالي في تعزيز قيم التسامح من وجهة نظر الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية جامعة الأقصى أنموذجاً، مجلة جامعة الأقصى – العلوم الإنسانية- المجلد (٢١) العدد (١) يناير ص ٤٢٣ – ٤٤٣.
النملة، علي. (١٤٢٥هـ). الشرق والغرب، محددات العلاقات ومؤثراتها، الرياض.
النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم. (١٩٩٠). المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج٢، بيروت، دار الكتب العلمية.
هدايات، سور رحمن. (٢٠٠١). التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر.
الهيثمي. (١٤٠٧هـ). مجمع الزوائد، دار الريان للتراث، الطبعة الثانية. القاهرة، بيروت.
الواعي، توفيق. (١٤١٠هـ). الإسلام في العقل العالمي، دار الوفاء، مصر.